

الدولة المدنية
تجربة فؤاد شهاب في لبنان
ندى حسن فياض

الفصل الخامس: التجربة الشهابية، ومكونات الانصهار الوطني:

1- بناء الثقة الواعية بين المواطن والدولة

2- التحرر من الولاءات الطائفية والمذهبية

3- تطبيق الديمقراطية والمشاركة الصحيحة والمساواة

4- التربية الوطنية والتنشئة الوطنية الانسانية

5- الوحدة الوطنية

6- تحديد علاقة لبنان بواقعه القومي والدولي

7- الاستنتاج

يعرّف باسم الجسر الشهابية بانها مجموعة مواقف ومبادئ وآراء، مارسها الرئيس فؤاد شهاب في الحكم، عُرفت باسم النهج الشهابي، ولكنها ليست عقيدة سياسية¹. وبالنسبة الى الكاتب فريد الخازن، لم تكن الشهابية حزباً ولا حركة سياسية منظمة، بل مقاربة اصلاحية حيال المجتمع اللبناني، وتوجهاته السياسية. ولعلّ الوصف الامثل للشهابية، «انها تكييف براغماتي ومعتدل للميثاق الوطني الذي صيغ في العام 1943، كما كانت القوة الدافعة لعملية اصلاح اداري واسعة النطاق، ومحاولة جديدة للاندما الاجتماعي والاقتصادي»². وبتعبير مايكل هدسن³ Michael Hudson ، «الشهابية هي بمثابة نيوديل New Deal، لبنانية... نهجاً ايديولوجياً معتدلاً للاندما الاجتماعي، مفصلاً على قياس لبنان والاضاع اللبنانية»⁴.

ترتبط الشهابية في الاساس بحماية المؤسسات اللبنانية والميثاق الوطني، تأثر نهجها بفكر بشارة الخوري وميشال شيحا⁵، فبقي الرئيس فؤاد شهاب وفياً لقول مأثور اطلقه شيحا، يقول فيه: «... لبنان بلد، من واجب التقاليد ان تصونه من العنف»⁶. فبدلاً من ثورة عنيفة للمؤسسات السياسية اللبنانية، التي كانت ولا تزال غير متأقلمة مع الحداثة في اواخر الخمسينات، فضّل الرئيس شهاب الاتيان بثورة على مهل، قادرة على معالجة الحساسيات الطائفية، وهي تتوضح اكثر مع ما يشرحه السفير السابق بطرس ديب⁷، ف «الثورة ليست بالضرورة حمراء، بل هي اولا واصلا، انقلاب في المفاهيم. واول ما اراده الرئيس شهاب هو تعميق تفهّم القانون وتعميم مفهومه، تمهيدا لترسيخ دولة القانون دعماً لكيان الدولة بالذات وإعلان لمبادئ الحرية والمساواة، فيحرر الفرد والمجموعة ويتساوى الجميع في ميزان العدل، بدلا من ان يخضعوا الى استبداد الاهواء والنزوات». بقيت هذه الثورة وفيّة لمبادئ النمو الذاتي التي اطلقها الاب لوبريه القائل: «الحداثة والتقاليد يجب ان تسيرا كمنظيرين لتولفا المفارقة الشهابية»⁸.

لم يعثر فؤاد شهاب على مواطنة حقة، لذا عمل على بناء عملية الانصهار الوطني، بين مختلف طبقات المجتمع اللبناني وعناصره، من خلال خطوات تنفيذية سوف ترد تباعاً في هذا الفصل، لقيام دولة ينظر اليها اللبنانيون عميقاً على انها دولتهم، والتي سوف يعطيها الرئيس اسم: «دولة الاستقلال».

1- بناء الثقة الواعية بين المواطن والدولة

إن محاولات الاصلاح المتلاحقة، وغير المجدية، التي رافقت العهود الرئاسية منذ الاستقلال، تركت لدى المواطن اللبناني خيبة امل، ورفضاً مسبقاً لاية عملية اصلاحية تقوم بها الدولة⁹. وعى الرئيس شهاب هذا الواقع، فقدم مشروع «لبناني الطبخة»¹⁰، صنعه معاونون له¹¹، تحلوا بنظافة الكف والتشف، وبالعلم والمعرفة والخبرة، عمل الرئيس، من خلالهم، على ان تتميز قمة الهرم السياسي، بفكر وخطة والتزام، لخلق مناخ من الثقة في قيادة البلاد. وهو ما جاء في تصريح للرئيس شهاب: «...ولكي يثق

¹ باسم الجسر، فؤاد شهاب ذلك المجهول، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 2000، ص142.

² فريد الخازن، تفكك اوصال الدولة في لبنان، دار النهار، ترجمة شكري رحيم، الطبعة الثانية، بيروت، 2002، ص 239-240.

³ مايكل هدسن هو مؤلف كتاب "the problem of authoritative power in lebanese politics". فريد الخازن، تفكك اوصال الدولة في لبنان 1976/1967، ترجمة خيرى الضامن، دار النهار، الطبعة الثانية، بيروت، نيسان 2002، ص548.

⁴ نقلاً عن فريد الخازن، مرجع سابق، ص240.

⁵ ميشال شيحا هو مفكر كاثوليكي، أوكل اليه وضع مسودة الدستور اللبناني "وكان ادبياً واسع الاطلاع، لبنانياً شديد التمسك بلبنانيته، واقعياً في تفكيره، نافذ البصيرة في شؤون البلاد". كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث، دار النهار للنشر، الطبعة السابعة، بيروت، 1991، ص212.

⁶ نقلاً عن كمال الصليبي، مرجع سابق، ص212.

⁷ نقلاً عن: ميريللا بلعيس، "احتفال بالذكرى 25 لرحيل فؤاد شهاب"، صحيفة اللواء، تاريخ 1998/4/25.

⁸ STEPHANE MALSANE, *Le Chehabisme sous la Présidence de Fouad Chehab*, Memoire de maîtrise d'Histoire, Septembre 1992, Paris – Sorbonne, p171.

⁹ توفيق كفوري، الشهابية وسياسة الموقف، دون ذكر لدار النشر، ولا ذكر للطبعة، ولا لمكان النشر، 1980، ص63.

¹⁰ هدى نعمة، "الذكرى الرابعة والعشرون لغياب الرئيس فؤاد شهاب"، صحيفة نداء الوطن، تاريخ 1997/4/26.

¹¹ اسماء بعض السياسيين اللبنانيين الذين ساعدوا الرئيس فؤاد شهاب: راند التخطيط مويريس الجميل، جورج نقاش صاحب جريدة الاوربان، الصحافي نبيه ابو زيد، خاتشيك بابيكيان، عثمان الدنا، فؤاد بطرس، الرئيسان الراحلان الياس سركيس وربنيه معوض، رئيس الحكومة الراحل رشيد كرامي، الرئيس شارل الحلو، الرئيس صبري حماده، فيليب تقلا، الامير عبد العزيز شهاب، جان عزيز، بئرو ديب، عبد الله المشنوق، الرئيس عادل عسيران، فريد الدحداح، شفيق محرم، انطوان الهراوي، محمود عثمان، شارل رزق، وعدد من الاختصاصيين الوطنيين والفرنسيين، وبلغ عددهم حوالي المئتي خبير، في مواضيع الادارة والتنظيم، الى جانب عدد من الضباط العسكريين. واكيم بو لحدو، فؤاد شهاب القائد والرئيس، مؤسسة الشمالي، دون ذكر للطبعة، حريصا، 1996، ص46.

وايضاً" من الوجوه الشابة: بطرس ديب، عيد الرحمن طيارة، جوزف زعرور، حسن فرحات، رضا وحيد، متري النمار، حسن عواضة، خطار شبلي، جوزف اوغورليان، جوزف دوناتو، كارلوس خوري، امين البزري، فؤاد البزري، باسم الجسر، محمد عطا الله، عمر عضاضة، جوزف نجار.

نقولاً ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، دار النهار ومؤسسة فؤاد شهاب، الطبعة الاولى، بيروت، تشرين الثاني 2008، ص420.

المواطن بالدولة، يجب ان يسري فيها روح الجد ويسيرها: الجد في المسؤولية عن الواجب وفي الحساب، والجد في جعل الدولة للمواطن وللكل على السواء، والجد في النظرة الى الغد والتصميم له...»¹.

اما اهداف الرئيس شهاب فكانت اربعة: اولها العمل على خلق توازن بين مختلف المجموعات، لخلق مواطنة لبنانية². ثانيها تقديم ضمانات اجتماعية لاكبر شريحة من المواطنين، من خلال تحقيق نهضة انمائية تطول البنية التحتية، وتطبق نظرة بيئية تحافظ على مقومات البيئة اللبنانية، وتجد صلة مباشرة بين اعلى الهرم وقاعدته³. ثالثها بناء الدولة، من خلال اعطاء الادارة واجهزتها اهتماماً خاصاً اصلاً ومؤسسات رقابية معروفة. وإذا كان الانماء هو الغاية، فالتصميم كان الوسيلة⁴. رابعها تحقيق لبنان الكبير بشعبه على مستوى العالم وليس بجغرافيته؛ فقوة لبنان لا تكمن بقوته الداخلية على ارضه الضيقة، بل لديه قوة هائلة في دول العالم ينشرها مبدعوه ومغتربوه وسياسيوه⁵. جميع هذه الاهداف الواضحة، تبني الثقة الواعية بين المواطن والدولة، ليكون مشاركاً في عملية بناء دولة الاستقلال.

في العام 1959، أطلق الرئيس شهاب السلة الاولى من مراسيمه الاشتراكية، بناءً على اقتراحات الهيئة المركزية للإصلاح الاداري، داعياً اللبنانيين الى الانتخابات، ومعتمداً على قانون جديد يحترم حرية الناخب، ويصونها، من خلال إنشاء العازل، الذي لحظ وجوده لأول مرة قانون انتخاب لبناني، ومعتمداً ان انتخابات العام 1960 النيابية، سوف تقدم الى الشعب اللبناني مجلساً نيابياً يعيد بناء الثقة المفقودة بالدولة نتيجة احداث 1958، فيكون بذلك صمام امان، وجسر عبور، عبر ممثلي الشعب، للوصول الى دولة الاستقلال. وهياً الرئيس اللبنانيين للانتقال من حال الاستسلام، الى حال المشاركة الفعالة، مؤكداً لهم انهم مستعدون للاستغناء عن «رجل العناية»⁶ الذي لا يمكن ان يدوم الى الابد، وان يحل محل اللبنانيين كافة.

عاد الرئيس فؤاد شهاب عن استقالته، مُحَمَّلاً بثقة اللبنانيين على كتفيه، فلم يخذلهم، عاملاً على انجاح عمليتي التخطيط والانماء، عن طريق تأمين الاتصال والارتباط اللازمين بين السلطة الحاكمة المصممة والقاعدة الشعبية، معيداً تنظيم وزارة التصميم العام بموجب القانون الصادر في العام 1962، فيرد فيه إنشاء مجالس اقليمية استشارية، تُؤلف من المحافظ في كل محافظة، ومندوب عن وزارة التصميم العام، وممثل عن مصلحة الانعاش الاجتماعي، وقائمقامي المحافظة، بالاضافة الى اثني عشر عضواً من سائر الاقضية. كما نص القانون على انشاء الفرق متعددة النشاطات في الاقضية، والهيئات التقنية الاقليمية؛ التي تسهم في ايجاد المشاركة الشعبية الصحيحة عند وضع الخطط العامة لكل محافظة فتتسجم مع متطلباتها، وتتسجم مع تطلعات اهلهما الذين يشاركون في صنع القرار⁷.

اضافة الى ذلك، ردم الرئيس شهاب، الهوة التعليمية بين العاصمة والاطراف، متطلعاً الى بناء البشر وفق مقولة المثل الصيني الشهير: «إذا اردت ان تأكل لسنة فإزرع أرزاً، وإذا اردت ان تأكل لعشر سنوات فإزرع شجراً، اما إذا اردت ان تأكل لمئة سنة فإزرع رجالاً»⁸. وعليه فتح المدارس مُشجِعاً التعليم، لبني شباباً لبنانياً مثقفاً، يراهن عليه لديمومة عملية الإصلاح. أثار عقول اللبنانيين بالكهرباء، لتصل الخدمات ووسائل الاعلام الى قراهم كي يواكبوا تطورات العصر وانجازاته. شق الطرق الى القرى، موصلاً معها المعدات الزراعية الحديثة، والآلات الصناعية المتطورة، والاساتذة المتخصصين الى المدرسة الجديدة. إنعكس كل ذلك، ثقة من المواطن بدولته، فشعر ابن الهرمل او ابن النبطية ان له دولة تفكر بمصلحته، تؤمن له حقوقه مُنقّدة بسرة، وبمصداقية غير مسبوق.

وقدم الرئيس شهاب الضمانات الضرورية، ليحصل المواطن على حقوقه من خلال المؤسسات، مُستلاً السلم الوظيفي عن طريق «مجلس الخدمة المدنية»، وتتم مراقبة نشاطه الوظيفي عبر «هيئة التقنيش المركزي». في حين عنايته الصحية والاجتماعية يقدمها الضمان الاجتماعي، بعد ان يشترك في مجلس ادارته ممثلون عن مختلف القطاعات العمالية، ليشارك المواطن في صنع القرار المتعلق بمصالحه. وإهتم بصحة

¹ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، دون ذكر لدار النشر، ولا ذكر للطبعة، ولا لمكان النشر، ولا لتاريخ النشر، ص13، بيان قسم اليمين الدستورية 1958/9/23.

² نواف كياره، "الشهابية مشروع بناء الدولة في لبنان 1958 - 1970"، لبنان في تاريخه وتراثه، مركز الحريري الثقافي أبحاث وتوثيق، دراسات لبنانية سلسلة باشراف عادل اسماعيل سفير لبنان، بيروت، 1993، ص698.

³ نبيل خليفة، "فؤاد شهاب: الجسر الآخر"، صحيفة نداء الوطن، تاريخ 1999/11/6.

⁴ نبيل خليفة، مرجع سابق.

⁵ نبيل خليفة، مرجع سابق.

⁶ هدى نعمه، "الذكرى الرابعة والعشرون لغياب الرئيس فؤاد شهاب"، صحيفة نداء الوطن، تاريخ 1997/4/26.

⁷ عزمي رجب، "تطور سياسة الانماء في لبنان"، رؤيتنا الانمائية الانسانية المستقبلية، منشورات ندوة الدراسات الانمائية، بيروت، الطبعة الاولى، 1985، ص47.

⁸ محمد فواز، "انماء لبنان الجنوبي"، انماء محافظة الجنوب، منشورات ندوة الدراسات الانمائية، بيروت، 1970، ص26.

الموظف، وإحترام تقاعده، من خلال إنشاء تعاونية موظفي الدولة، وهي، يشارك في صنع قرارها، مندوبون عن القطاعات الوظيفية التي تشرف عليها. ساهمت هذه المشاركة في بناء ثقة المواطن بدولته ومؤسساتها، وساهمت ببناء حسه المدني، «اي اعتبار نفسه جزءاً من الدولة، ليعمل بوحى من اقدامها كما في الدول المتحضرة»¹.

2- التحرر من الولاءات الطائفية والمذهبية

بنى الرئيس شهاب، قواعد الحكم على التزامه بالميثاق الوطني²، الذي أسسه البيان الوزاري لاولى حكومات الاستقلال برئاسة رياض الصلح. ثلّي هذا البيان امام جلسة المجلس النيابي بتاريخ 7 تشرين الاول من العام 1943، داعياً الى تعايش مشترك بين المسلمين والمسيحيين، والانتماء الى وطن واحد، لا يطلب فيه المسيحيون حماية فرنسا والغرب، ولا يعمل في المقابل المسلمون على الوحدة مع سورية والاندماج في العالم العربي؛ كما ترمي «الصيغة» الى بناء دولة تضمن مقومات المشاركة المسيحية - الاسلامية، في المواقع العليا للسلطة. وتضمن البيان الوزاري المطالبة بتجاوز الطائفية، كما ورد فيه: «من اسس الاصلاح التي تقتضيها مصلحة لبنان العليا، معالجة الطائفية والقضاء على مساوئها، فإن هذه القاعدة تقيد التقدم الوطني من جهة وسمعة لبنان من جهة اخرى، فضلاً عن انها تسمم روح العلاقات بين الجماعات الروحية المتعددة التي يتألف منها الشعب اللبناني. وقد شهدنا كيف ان الطائفية كانت في معظم الاحيان اداة لكفالة المنافع الخاصة، كما كانت اداة لايهان الحياة الوطنية في لبنان. ايهاناً يستفيد منه الاغيار، ونحن واثقون أنه متى غمر الشعب الشعور الوطني الذي يترعرع في ظل الاستقلال ونظام الحكم الشعبي يُقبل بطمأنينة على الغاء النظام الطائفي المُضَعَف للوطن»³.

جددت النظرة الشهابية ايديولوجية الميثاق الوطني، مؤكدةً مفهوم «الديموقراطية الطائفية»⁴، معطية الدولة صفة الدولة «الراعية»، بالاضافة الى صفة «الحارسة»، محملة اياها بالتالي دوراً اساسياً في التدخل لصالح تحقيق الامن الاجتماعي، ومنطلقةً في ذلك كله الى التشديد على ضرورة بناء الولاء الوطني، على قاعدة تحقيق المزيد من الدمج للمسلمين في اطار الدولة. فقد كان اكبر عيب في الميثاق، انه شكل عائقاً في وجه بناء هوية وطنية لبنانية متماسكة، «فاللبناني يرضع الطائفية في طفولته، ويتغذى عليها في مدرسته وجامعته، ويحصل على اساسها على وظيفته»⁵.

إعتقد الرئيس شهاب ان النظام السياسي الطائفي اللبناني لم يكن قائماً على برامج سياسية واضحة، بل كان قائماً على تبادل مصالح شخصية بين الزعماء المحليين ورؤساء الطوائف، من خلال وضع موظفين موالين لهم في مراكز حساسة يحتاجونهم لتقديم خدمات لهم ولاتباعهم، فأطلق الرئيس على هذه الفئة من المنتفعين لقب: «اكله الجبنة»⁶.

إقتنع الرئيس شهاب ان النظام الطائفي مشكلة المشاكل، ولكن الحل عنده يأتي من نظرة مختلفة، معتبراً ان القضية الاجتماعية من اهم الاسباب، وحلها يكون من خلال الانماء المتوازن والشامل المتكامل للمناطق وللقطاعات. لذا عمل الرئيس بشكل لافت على إنماء المناطق النائية، منصفاً الطبقات الفقيرة، ذات الاكثريّة الاسلامية، معتبراً ان هذه المشكلة توتر الجو العام السياسي، الذي يهدد الوحدة الوطنية؛ ويقول شهاب: «إن اشعار المسلمين بوجود دولة ترعى شؤونهم هو الذي يولي ولاءهم للبنان...»⁷.

وزّع الرئيس عمله خطوة بعد خطوة، منطلقاً من الاصلاح الاداري، الاجتماعي، وبعده الاقتصادي، معتبراً ان الاصلاح السياسي للتخلص من الطائفية السياسية، يأتي كنتيجة حتمية للاصلاحات، عندها يتخلص المواطن من ولائه النفعي لزعيم طائفته، ويتحول بالتالي الى وطنه ومؤسساته، التي تؤمن له كل حقوقه ومصالحه. علماً ان الشهابية أملت ان تعطي سياستها ثمارها، في مدة عشرة اعوام، تليها خطوات اخرى لصهر الطوائف تدريجياً في مجتمع وطني واحد⁸.

¹ توفيق كفوري، مرجع سابق، ص 65.

² نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 378.

³ نقلاً عن: مسعود ضاهر، لبنان الاستقلال الصيغة الميثاق، دار المطبوعات الشرقية، الطبعة الثانية، بيروت، 1984، ص 369.

⁴ سليمان تقي الدين، تحولات المجتمع والسياسة افكار عن عالم جديد، دار الحدائث، الطبعة الاولى، بيروت، 1992، ص 157.

⁵ عبد الرؤوف سنو، حرب لبنان 1975 - 1990 تفكك الدولة وتصعد المجتمع، المجلد الاول، الدار العربية للعلم والملايين، الطبعة الاولى، بيروت، 2008/1/5، ص 97.

⁶ نواف كيارة، مرجع سابق، ص 708.

⁷ نقلاً عن: وليد عريبي، "في ذكرى فؤاد شهاب مصالحة وطنية اصلاحات وبناء مؤسسات"، صحيفة السفير، تاريخ 24/4/1998.

⁸ توفيق كفوري، مرجع سابق، ص 229.

فتح الرئيس شهاب، من خلال إنشائه لمصلحة الانعاش الاجتماعي، الطريق لبناء علاقات بين الطوائف، إرتكزت على معرفة الآخر واحترامه، فعملت المصلحة على اقامة ورش اعادة تأهيل، إشتراك فيها رجال الدين من سائر الطوائف.

نظّم الرئيس شهاب الاحوال الشخصية لكل الطوائف، وأصدر القوانين والمراسيم والقرارات المنظمة لها، مثل قانون الارث لغير المحمديين الصادر بتاريخ 23 حزيران من العام 1959، توزيع الميراث عند المحمديين تاريخ 1959/6/23، تنظيم القضاء المذهبي الدرزي بقانون يصدر بتاريخ 1960/3/5، تنظيم القضاء الشرعي السني والجعفري بموجب القانون الصادر بتاريخ 1962/7/16¹. وإلتقت الرئيس شهاب لفترة خاصة الى الطائفة الشيعية من خلال دعم توجهات الامام موسى الصدر، أملاً منه في فسخ المجال امام بروز قيادات بديلة عن بعض القيادات التقليدية في الطائفة، لا سيما تلك المعارضة للحكم الشهابي². كانت الخطوة التالية في اعتماد مبدأ الكفاءة الوظيفية، واخذ القدرة العلمية والشخصية بعين الاعتبار في تعيين الموظفين، بعد اجراء مباريات مخصصة لذلك عبر «مجلس الخدمة المدنية».

قوى الرئيس شهاب، اسلوب عمل السلطة التنفيذية، مبقياً وجود ممثلي المدرسة السياسية التقليدية والطائفية في الحكم، الا انه أدخل في حكومات عهده، وجوهاً جديدةً من خبراء وتكنولوجيا لادارة المشاريع الحديثة، وتحضير المراسيم الاشتراكية التي سرّعت عجلة العمل الاصلاحى كثيراً. أدى هذا النهج الى تقاسم الوجوه الجديدة العمل مع الزعماء الطائفيين، ليبقى هؤلاء صمام امان العمل السياسي، مفسحين في المجال امام الطاقات الشبابية في اطلاق المشاريع التنموية الهادفة.

سياسياً، لم يعمل الرئيس شهاب، على تفويض البيئة الطائفية للبلاد، عندما كان في اوج حكمه وعهده، بل إكتفى بترشيد وتهذيب النظام الطائفي الموروث³؛ فعمل على زيادة عدد اعضاء مجلس النواب الى 99 عضواً يمثلون المجموعات والانتماءات كافة، وهو القائل: «لماذا تقاتلوا العام 1958؟ بعضهم ليصيروا نواباً والبعض الآخر لكي يبقوا نواباً؟ إذا ليتفضلوا كلهم ويشاركوا في تمثيل الشعب»⁴. شكّل الحكومة من 18 وزيراً، ووزيراً، كي يشرك الجميع فيها مهما كانت قيمتهم ومن خلالهم لصنع قرار الدولة، بعد انتخابات 1960 النيابية. اطلق الرئيس مبدأ «6 و6 مكرر»⁵، لينصف الطوائف الاسلامية في الوظائف الادارية، لتتساوى الطوائف الاسلامية والمسيحية مناصفة، بعد ان جرى تطبيقها في الجيش اللبناني اثناء قيادته له. لكنه لم يستطع الوصول بها الى مرحلة التعديلات الدستورية، وخصوصاً في مجلس النواب، إذ بقي معتمداً على قاعدة 6 للمسيحيين في مقابل 5 للمسلمين⁶، ليأتي المجلس النيابي في العام 1960 موزعاً على الشكل التالي:

| جدول رقم 60: توزيع مقاعد المجلس النيابي على الطوائف الدينية العام 1960 ⁷ | | | |
|---|---------------------------------------|---------|--------------------------------------|
| الطائفة | عدد مقاعد المسيحيين في المجلس النيابي | الطائفة | عدد مقاعد المسلمين في المجلس النيابي |
| الموارنة | 30 | السنة | 20 |
| الروم الارثوذكس | 11 | الشيعية | 19 |
| الروم الكاثوليك | 6 | الدروز | 6 |
| الارمن | 5 | - | - |
| البروتستانت | 1 | - | - |
| اقلية مسيحية | 1 | - | - |
| المجموع | 54 | المجموع | 45 |

تساءل بعض المواطنين ممن إعتادوا تتبع نشاط رؤساء الجمهوريات السابقين في لبنان، لماذا لا يبدي الرئيس شهاب رغبة بالتدخل في شؤون الحكم. فالرؤساء السابقون كانوا يتدخلون في الكبيرة والصغيرة... حتى التافه من الامور. وهذا ما جعل الكثيرين يتخطون رئيس الدولة مباشرة. واما الرئيس شهاب، فأصر منذ اليوم

¹ توفيق كفوري، مرجع سابق، من ص 257 حتى ص 305.

² فريد الخازن، مرجع سابق، ص 88.

³ جورج قرقم، "في التجربة الشهابية"، فؤاد شهاب باتي دولة الاستقلال شهادات، مؤسسة فؤاد شهاب، دون ذكر للطبعة، بيروت، 2005، ص 87.

⁴ نقلاً عن: توفيق كفوري، مرجع سابق، ص 225.

⁵ فؤاد بطرس، فؤاد بطرس المذكرات، دار النهار، الطبعة الاولى، بيروت، كانون الثاني 2009، ص 103.

⁶ بنيت هذه النسبة (5/6) على معطيات احصاء العام 1932، الذي اظهر تفوقاً "عددياً" طفيفاً للمسيحيين على المسلمين، 402363 مسيحياً مقابل 383180 مسلماً. عبد الرؤوف سنو، حرب لبنان، مرجع سابق، ص 105. مع الإشارة الى ان هذه النسبة بقيت معتمدة حتى اتفاق الطائف 1990 وتغيرت معه لتصبح مقاعد مجلس النواب موزعة مناصفة بين المسلمين والمسيحيين.

⁷ نقلاً عن: عبد الرؤوف سنو، حرب لبنان، مرجع سابق، ص 98.

الاول، على التزام الحدود التي رسمها له الدستور، تاركاً للوزراء ممارسة صلاحياتهم، مكتفياً بدور الرقيب المتعالي والحاكم العادل، مما أعطى السلطة التنفيذية صبغة جديدة، لم يتعودها المواطنون من ذي قبل¹.
 اما المآخذ على هذا النمط من العمل للتححرر من الولاءات الطائفية فهي عديدة:
 - منها ما أتى من فريق من السياسيين، لم يشتركوا معه في الحكم، إذ رأوا بهذا التححرر اضعاف لدور المجلس النيابي ونوعاً من الحكم الرئاسي، وتغليب رأي الخبراء والتكنوقراطيين².
 - ومنها ما أتى من قسم من المسيحيين، الذين إتهموا الرئيس باتباع سياسة «التمييز الايجابي» لصالح المسلمين، ولقبوه في بعض اللقاءات الاجتماعية بـ «محمد شهاب»³.
 ورأى بعض الاعيان المسلمين، في غرب بيروت، ان مدينتهم تُهمل لصالح المناطق النائية في البلاد، وشعر الزعماء من الطائفة الاسلامية والمسيحية، ان امكانية الاشراف وتقديم الخدمات لانصارهم تقلصت، لان الادارة العامة، وبنوع خاص المصالح الجديدة المستقلة، باشرت بتقديم الخدمات العامة، دون الحاجة الى التوسط، الذي كانوا يمارسونه⁴.

اتي الاعتراض المهم، من قبل كمال جنبلاط، معتبراً ان المناصفة في الحكم بين المسلمين والمسيحيين، تُذكرُ اللبنانيين بعهد القائمقاميتين، الذي لم يترك سوى الآثار السيئة على تقوية النزاعات الطائفية بين اللبنانيين. وإعتبر جنبلاط ان الطائفية السياسية وليدة الجهل في لبنان... فيجب معالجة قضية التخلف العلمي... فالكفاءة وحدها مقرونة بنظام للخدمة المدنية مستقل عن الاهواء، كقيلة بحل مشكلة الطائفية السياسية⁵... ويؤكد جنبلاط ان السبب الاول للازمة اللبنانية، ليس الخلاف بين المسلمين والمسيحيين، بل الصراع القائم بين دعاة الطائفية السياسية وانصار فكرة المجتمع العلماني. مغالياً بمطالبة العهد الشهابي، بالتخلص من الطائفية السياسية بدءاً من اصلاح اداري، يُنهى خدمة جميع الموظفين الذين عملوا لاكثر من خمس وعشرين عاماً في دوائر الدولة، وسد الشواغر الناشئة عن ذلك وفقاً للتناسب بين المسلمين والمسيحيين، لمدة لا تتجاوز الخمسة اعوام، تُجرى بعدها كل التعيينات والترقيات على اساس الكفاءة والمباراة إثر ذلك، وبعد اطلاق سلسلة القوانين، يتعاقب من يتهم بتأجيج النزعات الطائفية باحكام قاسية تصل الى الاعدام⁶.

وإعتبر بعض دعاة الغاء الطائفية السياسية، ان العهد الشهابي سمح بتنازل الدولة عن صلاحياتها عبر التشريع والممارسة، لا سيما في مجال شؤون الاحوال الشخصية والتعليم، الى الطوائف والمذاهب، الامر الذي أفضى الى تصاعد مرتبة ومكانة الطائفة والمذهب، لتشكل كياناً قائماً بذاته، يشبه الى حد ما هي عليه الحالة في الانظمة الفيدرالية⁷.

وعلى الرغم من اصلاحات الرئيس شهاب الظرفية، للتخفيف من حدة التناقضات بين الطوائف، باقامة نوع من التوازن الاجتماعي، «بقي لبنان يراوح مكانه بين حدي النزاع والوفاق وفق منظومة التعايش الطائفي»⁸. فشلت بذلك اول محاولة في تاريخ لبنان المعاصر للانتقال بالبلاد الى مفهوم الدولة الحديثة⁹.
 لكن هناك نظرة اقتصادية مغايرة، إعتبر فيها ويغان العلم، ان التفاوت لم يكن بين الطوائف، بل كان هناك تفاوت داخل الطوائف نفسها، وتشابه بينها في كثير من الحالات التي يظهرها الجدول الرقم (61)، تحتاج الى معالجة اقتصادية شاملة وانماء متوازن بين المناطق كافة.

| جدول رقم 61: قيمة الدخل السنوي للشخص كنسب مئوية العام 1974 ¹⁰ | | | | | | |
|--|-------|-------|-------|--------|---------|---------------|
| الدخل السنوي للفرد | سنة | شيعة | دروز | موارنة | ارثوذكس | كاثوليك وارمن |
| اقل من 3000 ل.ل. | 23,4% | 32,4% | 16,6% | 15,6% | 14,3% | 12,9% |
| بين 3000 ل.ل. و 6000 ل.ل. | 37,7% | 38,3% | 42,5% | 36,8% | 32,4% | 34,7% |
| بين 6000 ل.ل. و 12000 ل.ل. | 22,5% | 17,3% | 17,5% | 29,8% | 21,7% | 23,5% |
| اكثر من 12000 ل.ل. | 17,1% | 11,7% | 23,1% | 17,6% | 31,1% | 28,9% |

¹ حنا رفول، "الرئيس الدستوري"، صحيفة النهار العدد 7073، تاريخ 1959/1/4.

² باسم الجسر، فؤاد شهاب، مؤسسة فؤاد شهاب، دون ذكر للطبعة، بيروت، 1998، ص 117-118.

³ تيودور هانف، لبنان تعايش في زمن الحرب من انهيار الدولة الى انبعاث الامة، ترجمة موريس صليبا، مركز الدراسات العربي-الاوروبي باريس، الطبعة الاولى، 1993، ص 157.

⁴ تيودور هانف، مرجع سابق، ص 157.

⁵ كمال جنبلاط، ربع قرن من النضال، الدار التقديمية، لبنان المختارة، الطبعة الثانية، 1987، ص 269.

⁶ ايغور تيموفييف، كمال جنبلاط الرجل والاسطورة، ترجمة خيرى الضامن، دار النهار، الطبعة السابعة، بيروت، تشرين الثاني 2001، ص 287.

⁷ اسكندر بشير، الطائفية في لبنان الى متى؟، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، بيروت، 2006، ص 8.

⁸ عبد الرؤوف سنو، "لبنان المجتمع والدولة قراءة في مقومات التعايش الطائفي وتطوره وممارساته"، حوليات، عدد 9، 2007، ص 19 و 97.

⁹ عبد الرؤوف سنو، حرب لبنان، مرجع سابق، ص 146.

¹⁰ WEYGAN ALAM, POLITIQUE ET POUVOIR DE DECISION AU LIBAN A L'EPOQUE DU GENERAL CHEHAB

1958-1964, these de doctorat de II le cycle, P128.

باختصار، حاول الرئيس شهاب، ترشيد وتهذيب النظام الطائفي، أملاً منه، بفعل عامل الزمن، وكنتيجة حتمية للإصلاحات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي قام بها عهده، ان تؤدي الى تحرر المواطنين اللبنانيين من ولاءاتهم الضيقة، والانتقال الى مرحلة المواطنة الحقة، ليحتل ولاء المواطن الى وطنه مرتبة متقدمة.

ولكن، لم يحصد الرئيس سوى، غضب بعض المسيحيين، متهمين اياه بالانحياز الى المسلمين، والتفريط بحقوقهم، التي يعتبرونها مكتسبة ومقدسة. كما إعتبر المسلمون، انهم ما زالوا مغبونين، لتتطلق حركة المحرومين عند الطائفة الشيعية على سبيل المثال، في حين إعتبر العلمانيون الرئيس مقصراً، ومكرساً للنظام الطائفي وممنهجاً له.

3- تطبيق الديمقراطية والمشاركة الصحيحة والمساواة

ترتكز الديمقراطية على تداول سلمي للسلطة...، داعية الى قبول المعارضة في حمى القانون. وهي ثقافة تتحقق بالتربية المنزلية والمدرسية والمجتمعية، وبالممارسة التي تحتاج الى تجارب متصلة، قائمة على التقويم والمتابعة¹.

يقول لندرد باينر² Leonard Binder: «ان النظرة الليبرالية للتطور تعتبر، انه اذا ادخل التغيير على جزء جزء من النظام الاجتماعي وسمح للناس بمتابعة مصالحهم بطريقة عملية، فلا بد عندئذ من ان ينتج من ذلك، أجلاً او عاجلاً، تطور سياسي وتحديث، وبالتالي ديمقراطية. واضح طبعاً ان توسع المدن، والتعليم، والتعرض لوسائل الاعلام، والانخراط في العمل السياسي، والتغيير الاقتصادي، سُدخل على النظام التقليدي تعديلاً واسعاً، لكن الضغوط من اجل المساواة، ستجبر النظام السياسي على الانفتاح، ومن ثم سيكون التغيير الدائم هو المنتصر»³.

جراء اقتناع الرئيس شهاب بهذه المعايير، أكد ايمان لبنان بالديموقراطية معتبراً انها شرطاً من شروط البقاء اللبناني⁴؛ فهي تفرض نفسها كحاجة ضرورية لكل هذا الشرق، ولبنان هو الملجأ والموطن الاخير للحرية في هذه المنطقة⁵. وأثنى الرئيس على ان للديموقراطية اللبنانية نكهة طائفية خاصة، لطالما كانت تصعب عليه مهمة تطبيقها، في بلد يخشى اهله التنظيم والتخطيط، ويعتبرون تدخل السلطة في شؤون الاقتصاد والتجارة عبارة عن تناول على روح النظام الديموقراطي؛ كما ان معاناة اللبناني من تحكم الاجانب به، على مر الازمان، وإعتباره ان السلطة الحاكمة هي امتداد فعلي لذلك الاجنبي، يجعله يعتبر ان اية محاولات اصلاحية من قبلها هي انتقاص للديموقراطية⁶.

للمديموقراطية اوجه متعددة، اولها الديموقراطية الدستورية، التي ولدت في لبنان مع ولادة الدستور، وهي من اسس قيام الجمهورية اللبنانية⁷. إحترم الرئيس شهاب هذا الدستور بشكل مطلق، مسمى اياه «الكتاب». ووجه اهتمامه الى الاصلاح الاداري، وتريث في خوض الاصلاح السياسي، وتقادى الاقتراب من الاصلاح الدستوري، وهو القائل: «لديّ برنامج للانماء والاصلاح يقضي بتغيير سبل الحكم كلياً، ولا يمكنني تحقيقه الا بالوسائل الديموقراطية. اي بموافقة مجلس النواب. ولكن، ويا للأسف، لا يزال الشعب اللبناني متمسكاً بزعمائه التقليديين، ولا إمكان لهذا التغيير قبل 25 عاماً، قبل جيل كامل»⁸. ومردّد هذا القول يعود الى رؤية الرئيس شهاب الثاقبة، وتبصّره، إذ انه إعتمد على عامل الزمن لحدوث التغيير المطلوب، الذي يوصل الى تطبيق الديموقراطية بشكل صحيح، معتقداً، انه بعد الاصلاحات الادارية والاجتماعية والاقتصادية، وبعض منها السياسية، سوف يطرأ التغيير على عقلية المواطن اللبناني، وسوف ينتخب ممثليه غير التقليديين، ممن سوف يطلقون عملية التغيير السياسي والدستوري التي يحتاجها البلد كي يتحول الى دولة حديثة مدنية.

رفض الرئيس شهاب تجديد ولايته (ثانية) في العام 1964، لان تعديلاً دستورياً ما كان يجب ان يتم، معلناً ذلك رسمياً. لكن النواب باكثريتهم لم يستسلموا لرفض الرئيس العلني ليوقع 79 نائباً على مشروع قانون

¹ عدنان السيد حسين، صنع القرار في الوطن العربي الحالة اللبنانية، نص غير منشور، ص42.

² لندرد باينر هو مؤلف كتاب: "the naturel history of development theory" فريد الخازن، مرجع سابق، ص542.

³ نقلاً عن: فريد الخازن، مرجع سابق، ص49.

⁴ فاضل سعيد عقل، فلسفة الشهابية، منشورات العقل، الطبعة الاولى، بيروت، 1964، ص18.

⁵ WEYGAND ALAM ibid P88

⁶ توفيق كفوري، مرجع سابق، ص29 و38.

⁷ اطلق اسم الجمهورية اللبنانية على الكيان اللبناني في مقدمة الدستور (ج) الذي صدر في 23 ايار من العام 1926، بعد ان كان اسمه دولة لبنان الكبير.

⁸ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص556.

تعدلياً للدستور، رفض الرئيس توقيعه، لثُطوى صفحة التجديد نهائياً¹. أما في العام 1970، وبعد ان رسم الرئيس السابق شهاب صورةً قاتمةً عن الوضع اللبناني، موجهاً الانتقاد الى كل من المعارضة والموالاة، عن مواجهة المستقبل بذهنية الخوف والتردد وعدم الشعور بالمسؤولية، رفض الترشح، معلناً ذلك عبر بيان رسمي صدر في 5 آب من العام 1970. لكن لا تلبث ان تنهزم الشهابية، عندما سقط مرشحها الياس سركيس بفارق صوت واحد امام منافسه سليمان فرنجية، حدث ذلك وضباط الجيش الشهابيون في موقع قوة داخل المؤسسة العسكرية وخارجها، ولعلّ قبولهم الهزيمة جاء فعل ايمان بالممارسة الديمقراطية، مصدرها فؤاد شهاب نفسه².

أما بالنسبة الى الديمقراطية البرلمانية، فإعتبر الرئيس شهاب ان ممارسة الحق في المشاركة الصحيحة والمساواة بالحياة السياسية، هي حق لكل مواطن لبناني، ولا يأتي ذلك الا عبر الانتخابات النيابية، داعياً بالقول: «الانتخاب هو اولاً، وقبل كل شيء، السبيل الضروري الوحيد لتنظيم حياة وطنية مدنية عامة مشتركة في بلد كلبنان بالذات، تؤدي فيه الديمقراطية دوراً خاصاً حساساً بين مختلف الطوائف والفئات»³.

أدرك الرئيس ان المشكلة تكمن في النص والممارسة سوياً. بحث عن قانون انتخاب يتجاوز الدائرة الانتخابية الواسعة، وهي المحافظات الخمس، صنيعة الانتداب الفرنسي الذي حافظ عليها بشارة الخوري مع بعض التعديلات. كان شهاب يريد قانوناً يتجاوز الدائرة الفردية - مقعد او اثنين - التي اعتمدها كميل شمعون في عهده، بهدف التوصل الى صيغة مستقرة لتداول ديموقراطي حر ومتكافئ للسلطة الاشتراعية، توفر التمثيل الافضل للناخبين والطوائف والمناطق. أصدر قانون الانتخابات النيابية في 20 نيسان من العام 1960⁴ معتمداً القضاء، دائرة وسطى تقع بين الدائرة المحافظة والدائرة الفردية، مع تقسيم بيروت الى ثلاث دوائر انتخابية. وأوجد القانون، لأول مرة، البطاقة الانتخابية، والغرفة العازلة حفاظاً على حرية الناخب في اختيار مرشحيه دون تأثير عليه او توجيه لارادته وخياراته؛ وزاد شهاب من عدد النواب في المجلس النيابي الى 99، مفسحاً المجال امام اكبر عدد ممكن من الممثلين لارادة الشعب باستلام السلطة الاشتراعية⁵.

وعودة الى قضية تقسيم بيروت الى ثلاث دوائر انتخابية، كاد هذا الموضوع ان يفجر ازمة سياسية في الحكومة يؤدي الى استقالتها، بعد خلاف بين الوزراء حول تقسيمها. حيث قامت صحيفة النهار، بنشر الجدول ذات الرقم (62)، الذي يبين عدد السكان فيها، موزعين وفق الطوائف، على مختلف محلات بيروت، اعتماداً على احصاء رسمي يعود الى العام 1953، ليكون دليلاً للسياسيين، يستقون منه مواقفهم حول هذا التقسيم. والجدول هو:

| جدول رقم 62: توزيع سكان بيروت وفق الطوائف موزعين على محلات مختلفة، بناء لاحصاء صادر سنة 1953 ⁶ | | | | | | | | | | | | | |
|---|---------------|-------------|-------------|-------------|---------------|--------------|----------------|---------------|------------------|------------------|------------------|-------------|----------|
| الطائفة | محلة الاشرفية | محلة الرميل | محلة الصيفي | محلة المدور | محلة المصيطبة | محلة المزرعة | محلة راس بيروت | محلة الباشورة | محلة زقاق البلاط | محلة دار المريسة | محلة ميناء الحصن | محلة المرفأ | مجموع |
| سني | 2825 | 4 0 | 2 0 2 | 13 6 6 | 15 3 9 7 | 25 17 2 | 7 9 4 6 | 8 8 8 7 | 6 7 1 0 | 3 1 4 3 | 2 4 0 8 | 2 0 2 0 | 76 11 6 |
| شيعي | 5 4 0 | 8 | 1 1 7 | 1 1 6 | 3 6 6 9 | 8 8 3 | 1 5 7 | 4 7 8 9 | 4 6 8 5 | 6 7 9 | 3 6 8 | 1 0 5 1 | 17 0 6 2 |

¹ باسم الجسر، فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 64.

² فريد الخازن، مرجع سابق، ص 241.

³ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 47.

⁴ قانون رقم 0 تاريخ 1960/4/26، "تصديق مشروع قانون انتخاب اعضاء مجلس النواب"، الجريدة الرسمية، رقم 18، تاريخ 1960/4/27.

⁵ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 421-422-423.

⁶ صحيفة النهار، العدد 7238، تاريخ 24 كانون الثاني من العام 1960.

| | | | | | | | | | | | | | |
|--------|-------|---------|-------|--------|--------|--------|---------|---------|----------|--------|---------|---------|------------------|
| 2456 | 1 0 | 2 5 | 7 8 6 | 4 7 | 3 0 | 4 0 6 | 1 2 1 | 9 1 5 | 4 | 1 8 | 8 | 8 7 | درزي |
| 18101 | 1 9 0 | 14 2 0 | 6 2 6 | 6 4 1 | 18 3 5 | 7 1 7 | 7 4 9 | 8 7 9 | 20 4 6 | 24 4 9 | 42 6 5 | 2 2 8 4 | ماروني |
| 7617 | 8 4 | 5 6 6 | 2 2 2 | 3 7 6 | 5 7 0 | 4 1 4 | 2 4 5 | 7 3 1 | 6 9 2 | 12 1 8 | 11 8 8 | 13 1 1 | روم كاتوليك |
| 25376 | 2 0 0 | 9 0 4 | 2 9 0 | 2 3 2 | 6 3 1 | 14 3 8 | 2 2 7 5 | 4 0 5 1 | 10 4 6 | 10 8 7 | 3 8 5 6 | 9 3 6 6 | روم ارثوذكس |
| 5482 | 6 7 | 2 9 7 | 2 1 5 | 3 1 9 | 1 9 7 | 4 8 5 | 9 2 | 4 1 3 | 18 1 6 | 5 3 | 12 7 4 | 2 5 4 | بروتستانت |
| 2771 | 3 9 | 2 9 6 | 5 0 | 1 5 0 | 5 2 2 | 1 5 9 | 2 1 | 9 2 | 4 2 3 | 2 2 3 | 3 4 3 | 4 5 3 | لاتين |
| 8809 | 1 2 9 | 1 9 4 | 8 8 | 3 4 4 | 5 2 0 | 7 5 | 1 1 1 | 3 2 | 3 9 0 8 | 5 6 5 | 11 8 0 | 14 2 6 | ارمن كاتوليك |
| 42762 | 6 2 3 | 10 0 7 | 5 1 7 | 20 3 6 | 11 7 3 | 3 7 7 | 3 5 4 | 6 7 5 | 24 9 3 0 | 5 8 6 | 6 1 5 5 | 4 3 2 9 | ارمن ارثوذكس |
| 1178 | 3 3 | 2 1 | | 4 1 | 2 5 5 | 5 3 | 1 2 | 6 0 | 2 8 7 | 3 9 | 1 2 4 | 2 5 3 | كلدان |
| 4757 | 6 0 | 9 7 | 1 8 | 1 0 3 | 9 2 0 | 6 1 | 1 0 1 | 8 5 2 | 3 2 0 | 2 0 1 | 2 7 8 | 17 4 6 | سريان كاتوليك |
| 2764 | 6 | 1 9 | 1 9 | 4 6 | 1 1 7 | 1 6 0 | 1 4 3 | 1 8 1 9 | 1 2 9 | 3 | 6 5 | 2 3 8 | سريان ارثوذكس |
| 5382 | 4 7 9 | 4 5 8 5 | 9 6 | 7 9 | | 3 5 | 4 5 | 6 | | 2 7 | | 3 0 | اسرائيلي |
| 215 | 2 | 2 4 | 3 | 1 0 | 6 | | 1 2 | 4 | 1 4 | 3 | 6 | 1 3 1 | متفرقة |
| 220849 | 4993 | 12231 | 6752 | 15819 | 20452 | 12483 | 30336 | 29832 | 37097 | 6791 | 18790 | 25273 | المجموع |

شهد المجلس المنتخب في تموز من العام 1960، تجديداً ملحوظاً، إذ عاد فقط 31 من اصل 66 نائباً سابقاً الى الندوة البرلمانية الجديدة. لتظهر عناصر من قطاعات مختلفة في هذا المجلس. فاصحاب الاراضي والحقوقيون قلّ عددهم لمصلحة الاطباء والمهندسين والاساتذة والتقنيين، وهي محاولة من الرئيس شهاب لتخفيف تأثير وضغط الزعماء التقليديين، مع ابقائهم راضين بعودتهم الى المجلس النيابي¹، مما أسهم بتطبيق الديمقراطية والمشاركة الصحيحة في الحياة السياسية. إن عائلات تقليدية مثل كرامي، الاسعد، عسيران، العلي، حماده وسكاف، ظلت ممثلة في المجلس النيابي، مع خروقات من نواب جدد مثل: عدنان الحكيم رئيس حزب النجادة².

كُلف الرئيس فؤاد شهاب، عند الاقتراب من موعد الانتخابات النيابية في العام 1960 او العام 1964، حكومة حيادية، تشرف على الانتخابات، ولا يشارك احد من اعضائها فيها، لا ترشحاً ولا داعماً لاحد المرشحين، مما خلق جواً من الطمأنينة لدى المواطن يدلُّ على عدل الحاكم³. أعطى الرئيس عشية انتخابات 1960، تعليمات مشددة بوجوب الامتناع عن اية محاولة لنصرة مرشح على مرشح، مصراً على ان تبقى

¹ STEPHANE MALSANE ibid P 186

² عبد الرؤوف سنو، حرب لبنان، مرجع سابق، ص54.

³ واكيم بو لحدو، مرجع سابق، ص41، اسماء اعضاء الحكومة التي اشرفت على انتخابات 1960 : احمد الداوق رئيساً" والوزراء جبران النحاس، فيليب تقلا، فؤاد النجار، امين بيهم، ادمون كسبار، جورج نقاش، حسن عوض المقداد. ص 37 – اما اسماء اعضاء الحكومة التي اشرفت على انتخابات 1964 فهم: حسين العويني رئيساً" ، جبران نحاس، فيليب تقلا، شارل حلو، فؤاد نجار، امين بيهم، جورج نقاش، رضا وحيد، فؤاد عمون، محمد كنيعو.

الاجهزة العامة والخاصة بعيدة عن المعركة، ومؤكداً انه غير مؤيدٍ لأحدٍ على الاطلاق، ومرحباً بكل نائب يُنتخب من قبل الشعب¹.

ولكن اتهامات كثيرة طالت الشهابية بتزوير الانتخابات النيابية في العام 1960، من خلال الشعبة الثانية التي أصبح لها موطىء قدم في معظم المناطق، وفي البلديات ولدى الوجهاء والقبضيات المحليين، لدعم المرشحين المواليين للحكم الجديد ومواجهة خصومه. عملت الشعبة الثانية على تركيب اللوائح الانتخابية، عبر ضم مرشحين مواليين لها او اقضاء خصوم عنها، فجدبت المرشحين الاقوياء في دوائرهم الى الشهابية². اما بالنسبة لانتخابات العام 1964، فعملت اجهزة الشعبة الثانية للحصول على اكثرية نيابية شهابية، بهدف التجديد للرئيس شهاب، وذلك من خلال الطلب الى الادارات والوزارات والمصالح الرسمية بفتح ابوابها امام النواب الشهابيين، وامام الوجهاء المحليين المواليين ... كان الثمن الذي طلبته الشعبة الثانية من الناخبين واحداً، وهو تجلى بتأييد مرشحها في الانتخابات، لاقضاء خصمها القويين، كميل شمعون (في دائرة الشوف)، وريمون اده (في دائرة جبيل)، المرشحان المحتملان ايضاً لرئاسة الجمهورية والذين سقطا في هذه الانتخابات³.

قوى الرئيس شهاب موقع رئاسة مجلس الوزراء، ومقام الوزراء، ولكن إتهامات طاولته باستحواذ حقوق السلطة التشريعية، حين قامت الحكومة اللبنانية بمناقشة القوانين باسم الشعب اللبناني، بعد اصدار المراسيم الاشتراعية، دون العودة الى المجلس النيابي. وطالب النائب محمود عمار بتاريخ 23 نيسان من العام 1959 رئيس الحكومة جرّاء اخلاله بوعده كان قد قطعه بشأن الصلاحيات الاستثنائية، التي حصلت عليها الحكومة، انه لن يقر اي مرسوم اشتراعي قبل عرضه على المجلس النيابي وعلى الرأي العام لاخذ الرأي فيه⁴. لكن الحكومة قامت بعرض المراسيم على المجلس ولكن بعد صدورها في الجريدة الرسمية، إذ رأى بعض النواب فيها تجاوزاً للصلاحيات المعطاة لها، مثل اعتراض النائب جوزف شادر بتاريخ 23 حزيران من العام 1959، مطالباً بانشاء لجنة نيابية تبحث في المراسيم التي تجاوزت هذه الصلاحيات، والطلب من مجلس شوري الدولة استعمال صلاحياته بعدم تنفيذ هذه المراسيم الاشتراعية⁵. وإعتبر النائب هنري طرابلسي، في الجلسة المنعقدة بتاريخ 29 حزيران من العام 1959، ان تجاوز الصلاحيات ثم من خلال الامور المالية، إذ أعطت الحكومة كفالات مالية تفوق مبلغ الخمس عشرة الف ليرة لبنانية دون العودة الى المجلس؛ كما ان هناك مراسيم سمحت بتدخل الجيش في شؤون البلاد الداخلية، ومنها ما يتعارض مع نصوص الدستور والمسؤوليات الدستورية⁶؛ كذلك إعتبر النائب كامل الاسعد بتاريخ 30 حزيران من العام 1959، ان المرسوم الاشتراعي الصادر عن السلطة التنفيذية يحتاج الى اقراره من المجلس النيابي، والا فالقضاء الاداري يعتبره صالحاً للنظر فيه ويخضع لرقابة مجلس شوري الدولة ويبقى بصفة اعمال ادارية. إعتبر النائب نهاد بويز في الجلسة نفسها، ان المراسيم الاشتراعية تقوّض هيكل الدولة بكامله، وثقوّض مفاهيم العمل الحكومي، إذ لم يبق هيكل من هيكل الدولة الا وأدخل عليه تعديل⁷.

طبقت الديموقراطية بحذافيرها في علاقتها مع السلطة القضائية، بعد ازمة خطيرة عصفت بالعهد وكادت ان تطيح به، وهي تتمثل بمحاولة انقلاب الحزب السوري القومي الاجتماعي، في آخر يوم من العام 1961، إذ أدت السلطة القضائية واجبها وقامت بمحاكمات عادلة، برأت ساحة المظلوم، وثبتت الجرم على اصحابه، متوصلة الى احكام بالاعدام، رفض الرئيس التوقيع عليها لتبقى من دون تنفيذ⁸. اشارة الى انه حصلت اعتراضات من مناصري الحزب السوري على هذه المحاكمات وعلى الطريقة التي عومل بها الموقوفون، وتم إتهام الشعبة الثانية بالتدخل في سير المحاكمات، لجهة القسوة في اصدار الاحكام⁹. كما اعتبر الكاتب نقولا ناصيف في كتابه «المكتب الثاني، حاكم في الظل»، ان انطون سعد، رئيس تلك الشعبة في حينه، قاد انقلاباً آخر

¹ صحيفة النهار، العدد 7519، تاريخ 16 حزيران 1960.

² نقولا ناصيف، المكتب الثاني، حاكم في الظل، مختارات، الطبعة الثالثة، بيروت، تشرين الثاني 2006، ص 79-80.

³ نقولا ناصيف، المكتب الثاني، حاكم في الظل، مرجع سابق، ص 144-145.

⁴ مجلس النواب، محضر الجلسة السابعة، تاريخ 23 نيسان 1959، الدور التشريعي التاسع العقد العادي الاول سنة 1959، مؤسسة المحفوظات الوطنية، ص 711.

⁵ مجلس النواب، محضر الجلسة الاولى، تاريخ 23 حزيران 1959، الدور التشريعي التاسع العقد العادي الاول سنة 1959، مؤسسة المحفوظات الوطنية، ص 955 - 956.

⁶ مجلس النواب، محضر الجلسة الثالثة، تاريخ 29 حزيران 1959، الدور التشريعي التاسع العقد العادي الاول سنة 1959، مؤسسة المحفوظات الوطنية، ص 1004 - 1005.

⁷ مجلس النواب، محضر الجلسة الرابعة، تاريخ 30 حزيران 1959، الدور التشريعي التاسع العقد العادي الاول سنة 1959، مؤسسة المحفوظات الوطنية، ص 1037 - 1038.

⁸ اصدر الرئيس شهاب، في اليوم ما قبل الاخير من عهده عفواً "خاصاً" عن القوميين الثمانية، المحكومين بالاعدام، بذل فيه العقوبة بالسجن المؤبد.

⁹ فؤاد بطرس، مرجع سابق، ص 90.

⁹ كمال ذبيان، "الحزب السوري القومي الاجتماعي 75 عاماً" من النضال ... "، صحيفة الديار، تاريخ 2006/10/22،

من داخل السلطة، يحجزُ الرئيس شهاب خلف قناع الاستخبارات العسكرية، مبتعداً عن مبادئ الديمقراطية التي لطالما كان يؤمن بها ويدعو إليها¹.

أما بالنسبة إلى الديمقراطية الإعلامية، فقد وصلت إليها ورشة الإصلاح مع تنظيم الإعلام في لبنان، حيث أتى قانون الصحافة الصادر سنة 1962، الأكثر تقدماً بين قوانين الصحافة في المنطقة العربية كلها والذي ضاهى بعض قوانين الدول الأوروبية من حيث احترام الحرية الصحافية، والذي ما زال معمولاً به حتى اليوم². كان الرئيس شهاب، يقوم بعملية Spot³، قبل اتخاذ القرار النهائي بشأن موضوع ما، أي أنه يسرب الخبر إلى الصحف وينتظر ردات الفعل، ومعنى ذلك أنه كان يؤمن بالحرية ويحترم رأي الشعب. قدّس الرئيس الحرية، ولكنه خشى عليها من ذاتها، وخاف من جموح الديمقراطية إلى الفوضى. إختار الواقعية وأهمها الرقابة الذاتية، وخاصة بعد تفكك الجمهورية العربية المتحدة، فكان اتفاق على الرقابة الذاتية من قبل الصحف اللبنانية تفاقداً لاي اشكالات مع الدولتين المنفصلتين، بطلب من وزارة الإعلام⁴.

إعتبر الرئيس شهاب أن تطبيق اللامركزية الإدارية، هي خطوة مهمة على طريق الديمقراطية⁵، عمل على إصدار قانون للبلديات، بُنيت عليه الانتخابات البلدية، فحصلت معظم القرى والمدن اللبنانية على سلطة محلية منتخبة من الشعب، ساهمت بشكل فاعل في تنمية الديمقراطية، كون نطاق البلدية أصغر حجماً واقرب إلى الناس. هذه السلطة المحلية، حملت المواطن مسؤولية ونتائج خياراته مع ممثليه الذين انتخبهم، مساهمة في انشاء طبقة جديدة من الإداريين والسياسيين، لربما يتأهلون لدور وطني أفعال⁶.

تطور انشاء النقابات العمالية في العهد الشهابي، عاكساً احترام العمال، وقبول تمثيلهم بنقابات نقوي كلمتهم وتجعلها صلبة للمطالبة بحقوقهم، واحترام حقهم في الاضراب، والسماح بتنفيذه، وهذا لا ينشأ الا في عهود تحترم الديمقراطية وتعمل على تطبيقها.

شعر الرئيس شهاب، ان الديمقراطية لا تنمو مع الجهل والمرض والخوف والفقير⁷، فكان العمل الدؤوب، من خلال ورشة اصلاحية طالت توسيع المدن وتنظيمها، والتعليم وعملية نشره، والتغيير الاقتصادي، من خلال تشجيع الزراعة ومحاولة تثبيت الفلاح في ارضه، ومن خلال اعطاء الضمانات للعامل الصناعي عبر صندوق الضمان الاجتماعي، او من خلال محاولة خلق توازن بين مختلف القطاعات الاقتصادية، او التوجه للكشف علناً عن المخاطر التي يمكن ان تنشأ من انعدام التخطيط الاقتصادي⁸.

من المهم القول، ان اقصى ما توصلت اليه تدخلات المكتب الثاني في السياسة، كان يشبه تمارين الهواة، إذا ما قورن بما يسمى مؤسسات العنف التي بلغت درجات عنيفة في العديد من الانظمة العربية وشبكات استخباراتها المتعسفة؛ انها صيغة ملطفة ولينة من الحكم العسكري كانت الشهابية⁹. كان الرئيس فؤاد شهاب «الرجل العسكري الذي يعلم الديمقراطية للمدنيين»¹⁰، انها لمفارقة حقاً غريبة. انه العسكري الذي أمّن الجيش على الديمقراطية، فعمل على حمايتها، وخاصة من نفسها ومن جنوحها نحو الفوضى¹¹.

4- التربية الوطنية والتنشئة الوطنية الانسانية

إن التربية الوطنية، والتنشئة الوطنية الانسانية، موضوعان معقدان يحتاجان الى وقت، والى صبر، كي يتم تحقيقهما؛ ولكنهما يحتاجان في البدء، الى من يقتنع باهميتهما، ووجوب تطبيقهما. فالدولة الحديثة في لبنان، يجب ان تقوم على فكرة المواطنة التي تساوي بين اللبنانيين، وتوحد ولاءهم للوطن، وتبدد خوفهم. المواطنة تزرع الثقة في نفوس الناشئة، من خلال تربية وطنية في البيت والمدرسة والمجتمع ووسائل الاعلام. المواطنة هي التي تجعل الشعب اللبناني على سوية واحدة مع الشعوب الاخرى،

¹ نقولا ناصيف، المكتب الثاني، حاكم في الظل، مرجع سابق، ص127.

² البير منصور، موت جمهورية، دار الجديد، الطبعة الاولى، بيروت، 1994، ص60.

³ مالك بصبوس، حلقة وثائقية عبر تلفزيون لبنان، في الذكرى الخامسة والعشرين لغياب فؤاد شهاب، 1998.

⁴ زهير عسيران، حلقة وثائقية عبر تلفزيون لبنان، في الذكرى الخامسة والعشرين لغياب فؤاد شهاب، 1998.

⁵ STEPHANE MALSANE ibid P 69

⁶ فؤاد السعد، "مؤتمر الحوار الوطني حول جدول اعمال 1996-2000"، كانون الاول 1996، www.lcps-lebanon.org/

⁷ توفيق كفوري، مرجع سابق، ص40.

⁸ WEYGAN ALAM ibid P 142

⁹ فريد الخازن، مرجع سابق، ص241.

¹⁰ جريدة جون افريك، مقالة "لبنان بلد جديد ومتضامن"، نقلاً عن فاضل سعيد عقل، مرجع سابق، ص83.

¹¹ مالك بصبوس، حلقة وثائقية عبر تلفزيون لبنان، في الذكرى الخامسة والعشرين لغياب فؤاد شهاب، 1998.

بعيداً عن عوامل الفرز الطائفي والمذهبي والعشائري¹؛ وهي المساواة في الحقوق، و«اما تحقيق المواطنة فهو يعني تعديلاً جوهرياً في المصالح الطائفية التي تحميها صيغة 1943»².

شعر الرئيس في بداية عهده، ان هناك حساً مفقوداً لمفهوم المواطنة، ودور هذا المفهوم في التزام المواطن بإنتمائه الى جماعة بحث وإستشار، ليجد ان الجيش هو خير مدرسة، وفضل نموذج للتعاقد والوطنية، وهو يقرن ذكره بالمناقب العسكرية والأداب الوطنية والإيمان بالله؛ انه المؤسسة التي تؤدي رسالة توحيد اللبنانيين، وجمع شتات الوطن، والتآلف بين القلوب وتوحيد الصفوف³. وهو القائل: «... ان بالإضافة الى دوره الاصيلي (اي دور الجيش)، له شأن البوتقة التي يأتي لينصهر فيها كل عام الالوف من الشبان اللبنانيين، سواء كانوا مجندين، ام كانوا طلاباً يتلقون التدريب العسكري»⁴.

لم تكن مؤسسة الجيش بعيدة عن التجاذب الطائفي، ولكن شهاب كفانداً لها، عمل على ردم الهوة بين المسيحيين والمسلمين، وخاصة في عداد الضباط. فقد انتقلت النسبة من: نسبة تبلغ 65% (ضابط مسيحي) مقابل نسبة تبلغ 35% (ضابط مسلم) بين عامي 1945 و 1958 لتصبح نسبة تبلغ 55% مقابل نسبة تبلغ 45% بين عامي 1958 و 1975. اسباب عديدة ادت الى نشوء هذا الفارق، ومنها بالنسبة الى المسلمين، كان عدم رغبة السنة بالانتساب الى المدرسة الحربية، وعدم رغبة الشيعة ايضاً او عدم تمكنهم من النجاح في امتحانات الدخول. اما بالنسبة الى المسيحيين، فقد كانوا يرغبون بالاحتفاظ بالمراكز الحساسة في الجيش على اعتباره احدى المؤسسات التي تدافع عن الامتيازات المسيحية، وخاصة المارونية⁵. ولكن داخل تلك المؤسسة، عمل الرئيس على دمج تلك العناصر وحوّل الجيش الى مؤسسة بعيدة عن الطائفية، ضمت افراداً من كل الطبقات والطوائف والاحزاب اللبنانية، ويستطيع الجندي اللبناني، بعد صفل روح المواطنة لديه وتثقيفه انسانياً وطنياً، ومن خلال احتكاكه بعائلته الصغيرة، ان يكون ممر عبور لهذه الافكار اليها، والى عائلته الاكبر اي العشيرة، ومن ثم الطائفة، ما يساعد على انتشارها على مساحة الوطن، ويقول شهاب: «... ومن هنا تنطلق في تيار مستمر مثل الجيش العليا الى عناصر الشعب كله، بواسطة الخطوط العديدة العميقة التي تتمثل بعائلات الجنود واصدقائهم»⁶.

إستعانت قيادة الجيش، وبتوجيه من الرئيس بشكل مباشر، بمجموعة من الاختصاصيين، لاعداد كتاب صدر تحت اسم: «كتاب التنشئة الوطنية الانسانية»، في العام 1963، تعدت صفحاته الـ500، موجه الى عناصر الجيش، والذي تم اصدار ملخص عنه في ما بعد، دُرس لفترة وجيزة في الثانويات الرسمية، وتناول موضوعاته، مقومات لبنان التاريخية والسياسية والحضارية، والقواعد الاخلاقية لجنود لبنان وجيله الجديد.

ورد في مقدمة الكتاب ان «قيادة الجيش إذ فكرت بوضع هذا الكتاب واخرجته الى الوجود فانما قصدت ايفاء الجندي حقاً له عليها، وسد ثغرة في اعداد الفرد اللبناني بوجه عام ليكون مواطناً واعياً مخلصاً»⁷. توزعت فصول الكتاب، من «الجندي مبدأ ورسالة». فالجندي حامل رسالة وخدام مبدأ، والجندي هي فكرة تتجسد في جزء من ابناء الامة فتؤلف بين قلوبهم وتوحد ايمانهم ومشاعرهم. الى «الفضائل الخلقية»، على اعتبار ان الاخلاق دعامة الحياة الوطنية المثلى، والقوانين الوضعية هي الاطار الخارجي لذلك؛ كما ان للفضائل قواعد اساسية ثابتة، والخلاف حولها في الدرجة لا في المبدأ. الى «الروح المدنية ومعناها»، لانها شعور الانسان بانه جزء من مجتمع معين تترتب عليه حقوق ويلتزم ازاءه بواجبات. فالروح المدنية هي قوام حياتنا المدنية الحديثة، بل هي قوام حياة الوطن والمجتمع والدولة، والمواطنة هي شراكة في العيش والشعور والهدف والمصير وتعاون في اداء الحقوق والتزام الواجبات، ويتم تعريف الروح المدنية في احدى صفحات الفصل لتأتي على الشكل التالي: «انها شعور الانسان بأنه جزء من مجتمع سياسي معين وعضو كامل فيه، تنجم عن عضويته هذه حقوق وواجبات ومسؤوليات يعيها الوعي كله، ويقوم بها بحرية ومحبة وسرور على الوجه الاكمل»⁸.

ثم يأتي فصل بعنوان «الجغرافية الطبيعية». حينها يعرف القارئ حدود لبنان ومساحته وهيأته ومواصلاته ومناخه ويطالع احوال الثروة المائية، الثروة الحيوانية، والاحراج والصناعات الزراعية والريفية، ويصف نشاط المطار الدولي والمرفأ والسياحة والتجارة والخدمات والمواد الاولية والمعادن والمصارف...

¹ عدنان السيد حسين، مرجع سابق، ص39.

² سليمان تقي الدين، تحولات المجتمع والسياسة أفكار عن عالم جديد، مرجع سابق، ص155.

³ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص495.

⁴ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 75.

⁵ عبد الرؤوف سنو، حرب لبنان، مرجع سابق، ص113 - 114.

⁶ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص76.

⁷ التنشئة الوطنية الانسانية، وزارة الدفاع الوطني قيادة الجيش، دون ذكر لدار النشر، ولا ذكر للطبعة، ولا لمكان النشر، 1963، المقدمة.

⁸ التنشئة الوطنية الانسانية، مرجع سابق، ص 95.

وينتقل الكتاب الى فصلٍ يحمل عنوان: «مقومات الوطن اللبناني»، من خلال معرفة الارض والشعب والتاريخ والتراث والدولة. بعدها يأتي فصل جديد يتناول «الوطن في الواقع القومي»، وهو فصل مهم، يُعرّف القومية «بانها شعور الانسان بانتماؤه الى امة معينة، اما الوطنية فهي شعوره بارتباطه بالارض التي يعيش عليها هو وافراد امته، والفرق بينهما ان القومية تربطه بابناء امته، بينما الوطنية تشده الى ارض وطنه بصرف النظر عن مواطنيه»¹.

يُطلق الكتاب شعار الاخذ بالقومية الانسانية وليس بالتعصب القومي، شارحاً دور ارادة العيش المشترك وحرية تقرير المصير في قيام الامة، ومشدداً على الولاء لهذا الوطن. يعرّج الكتاب على نشوء الحركة الصهيونية في التاريخ الحديث، ومفسراً اثر الحرب العالمية الثانية على حرب فلسطين، وقيام اسرائيل وتعريفها كعدو وابرار خطرهما على البلدان العربية عامة، وعلى لبنان خاصة، وتحديد موقف المواطن اللبناني من القضية الفلسطينية.

وفي فصل مخصص لـ «الدين»، يشرح الكتاب ماهية الدين ويعرّفه على انه «علاقة الخالق بالمخلوق من حيث هو المبدأ والمعاد، وهذه العلاقة المزدوجة تفرض وجود الله اولاً وخلود الانسان ثانياً»²، موضحاً اثر الدين في حياة الفرد والمجتمع، حيث لا يستقر المجتمع البشري على وجه من الخير الا بالدين، مثنياً على وحدة الغاية من الاديان السماوية لان جميع الاديان السماوية تساعد الانسان على خلاص نفسه الابدي، بعد ان تساعده على الحياة الكريمة في الدنيا. يحدد لبنان كبوثة التفاعل بين الاديان، ففي تعدد الاديان ثروة للوطن. وصولاً الى المسيحية والاسلام، فيتم سرد مقومات المسيحية ومقومات الاسلام.

الموضوع الاهم في هذا الفصل هو الطائفية، لان تاريخها يرجع الى القرن التاسع عشر، واسبابها تعود الى الاتراك وعهد الانتداب، واعتماد الحكم الوطني التمثيل الطائفي وسيلة لاشتراك جميع اللبنانيين في الحكم، مع اعتباره حلاً مؤقتاً ومرحلة انتقالية، واطلاق مقولة الدين يجمع والطائفية تفرّق. يميّز الكتاب مجموعة من الاجزاء في الفصل الاخير، تتعلق بتاريخ الماركسية، شارحاً العقيدة المادية، واساليب العمل الشيوعية، وتقنية التهديم الشيوعي، واخيراً تعريف القاريء باساليب مقاومة الشيوعية³.

ان موضوع الشيوعية، واعتبارها خطر على كل بلد وخاصة على لبنان، من خلال تقنية سميت بتقنية التهديم الشيوعي، تعود بجذورها الى قناعة لدى الرئيس شهاب، برفض عقيدة الاحزاب التي لا تمت بصلة الى مجتمع لبنان (السياسي والوطني)، فكان ذلك معيار تصنيفه للحزب السوري القومي الاجتماعي وحزب البعث والحزب الشيوعي، على اعتبارها احزاباً غير لبنانية وتأتّم من الخارج ولا تعمل باخلاص للوطن؛ لم يكن الرئيس ينظر اليها بتقدير واحترام، بل هو اهتم باستبعادها عن المشاركة في الحياة السياسية اللبنانية⁴. ولربما شعر، هو وقيادة الجيش اللبناني بخطر الحزب الشيوعي ان تتغلغل عقيدته في المجتمع، فاراد ان يوضح للجندي مبادئها وكيفية التصدي لها، من خلال كتاب التنشئة الوطنية الانسانية.

ان من المهم، عند الحديث عن كتاب التنشئة الوطنية الانسانية، ذكر اهدافه، والاهداف التي سعت الشهابية الى تمريرها من خلاله، وبما انها تعكس صورة عن التوجه الشهابي خلال تلك الفترة، يرد اصدق تعبير عنها على لسان مدير الوكالة الوطنية للانباء، في حينه، الاستاذ باسم الجسر، في كلمة القاها خلال الاحتفال باصدار الكتاب، اقيم في وزارة التربية الوطنية بتاريخ 4 نيسان 1963، اعتبر فيه ان هذا الكتاب هو «سجل يجمع القيم الانسانية والوطنية، التي ترتكز عليها مقومات الوطن اللبناني»⁵، وهذه المقومات تكون ثابتة مطلوبة مطلوبة من كل لبناني، لانها تجمع بين عقول وقلوب كل منهم. اعتبر الكتاب ان لبنان ليس واقعاً سياسياً او جغرافياً او تاريخياً يحتاج الى برهان، بل هو حقيقة ترتكز على تلك القيم، لتكون قاسماً مشتركاً بين اللبنانيين. وأصرّ الكتاب على مبادئ عدة، منها الاخذ بالقومية الانسانية، ومنها ان تاريخ هذا الوطن يرتكز على العطاء الانساني والحضاري، والدفاع عن الحرية والاستقلال، والتفاعل مع المحيط الطبيعي والمجال الحيوي، وان مقومات الوطن هي الارض والشعب والارادة الواعية المشتركة. من ابرز مبادئ الكتاب، هي ان الوطنية وعيٌ ومسؤولية وتضحية وايمان بالتطور، كما تُعلم الناشئة على الايمان بالله والمحبة، عن طريق فتح قلبه وعقله للاديان باسرها. في النهاية، يعتبر الجسر ان اعتماد هذا الاسلوب في التوجه الى النشء الجديد، سيعطي حتماً جيلاً لبنانياً جديداً في مستوى القيم الحقيقية، وفي مستوى ما يريده «الانسان للبنان»، وما يريده لبنان للانسان»⁶.

¹ التنشئة الوطنية الانسانية، مرجع سابق، ص 356.

² التنشئة الوطنية الانسانية، مرجع سابق، ص 448.

³ التنشئة الوطنية الانسانية، مرجع سابق، من ص 498 حتى ص 540.

⁴ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 482.

⁵ فاضل سعيد عقل، مرجع سابق، ص 257.

⁶ فاضل سعيد عقل، مرجع سابق، ص 260.

5- الوحدة الوطنية

ان الوحدة الوطنية، في مفهوم الرئيس شهاب، ارتكزت على مقومات اساسية اهمها الديمقراطية والعدالة الاجتماعية؛¹ موضحاً: «ان الديمقراطية في لبنان هي شرط من شروط بقاء لبنان، لانها صورة الوحدة الوطنية والتعبير العملي الحي عنها»². وقال الرئيس في مناسبة اخرى: «ان العمل الانمائي الذي يجري في ميادين الاجتماع والاقتصاد وال عمران يتعدى في غايته رفع مستوى العيش، وتحقيق العدالة الاجتماعية، الى صهر اللبنانيين في مجتمع واحد، تقوم وحدته الوطنية على ايمان كل فرد من المواطنين بالانتماء الكامل الى شعب واحد، والولاء الخالص لوطن واحد، ولا تقف عند حدود تعايش الفئات والتحالف بينها والتآلف. إنه بذلك تأخذ الوحدة الوطنية اسمى معانيها، وتتبعث منها كل قدراتها»³.

ظنَّ الرئيس شهاب ان عملية اعادة صوغ الوحدة الوطنية، (أي ارساء بناء الدولة)، يتم بالانتقال بالمناطق اللبنانية، التي ضمها اعلان غورو في دولة لبنان الكبير، من مرحلة الضم الى مرحلة الدمج⁴، كي لا تبقى الامة، مؤلفة من مواطنين يدورون في افلاك، لا تلتقي الا حين تصطدم، ومؤلفة ايضاً من سياسيين يلهون بمزايدات جنونية شيطانية. فسعى الرئيس أن يخلق مداراً واحداً للاهداف والطموحات الشعبية، متنازلاً عن مبادئ إحتباسه داخل المبادئ المحنطة⁵.

كما ان العمل على الوحدة الوطنية، بالنسبة للرئيس شهاب، يعني العمل على الاستقلال التام الناجز، والوحدة الوطنية والاستقلال هما واحد. فلبنان القوي المستقل، هو لبنان القائم بكل طوائفه ومناطقه وطاقاته بعدالة ومساواة⁶. وهو القائل: «...الضمانة الاساسية الكبرى لاستقلال الوطن وسلامة اراضيه وحدوده... هي دائماً الوحدة بين عناصر الشعب الواحد...فلولا الوحدة لما تحقق للبنان استقلال ولما بقي له استقلال»⁷. أمّن الرئيس شهاب، الجيش للحفاظ على الوحدة الوطنية، معتبراً اياها احدى مهماته الاساسية، وشرف له القيام بها، قائلاً: «... ان الحفاظ على الوحدة الوطنية في بلد كلبنان، حياته في هذه الوحدة وشقاؤه في زوالها، شرف لا يقل (للجيش) عن الحفاظ على حدود الوطن، ومجد لا يوازيه الا مجد الموت في ظل العلم»⁸.

وبسبب تركيبة لبنان الطائفية ونشوء نزاعات عائلية وعشائرية، عمل الرئيس شهاب بصبر وصمت طيلة عهده على حلها والقيام بمصالحات تكرر الوحدة الوطنية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، كلف الرئيس في نيسان من العام 1959، هنري فرعون، احد زعماء طائفة الكاثوليك القيام بمهمة مصالحة بين العائلات المتناحرة في زغرتا، وهي عائلات الدويهي وفرنجية ومعوض⁹.

من خلال ايمانه بالترابط بين المشاكل الاجتماعية والوضع السياسي القائم من جهة والوحدة الوطنية من جهة اخرى، عمل على تطبيق العدالة الاجتماعية بين مختلف المناطق والافرقاء، متبنيّاً قضية انصاف المناطق النائية وتأمين احتياجاتها.

اما بالنسبة للترابط بين مفهوم الاستقلال والوحدة الوطنية، فقد استشهد الرئيس بمواقف اللبنانيين بعد ازمة العام 1958، وكيف ان «اجماعهم على ارادة العيش متحدتين هي التي انقذت الوطن»¹⁰.

6- تحديد علاقة لبنان بواقعه القومي والدولي

أن التشابك والتفاعل في حقل السياسة بين لبنان ومحيطه الخارجي، هي ظاهرة قديمة تعود الى يوم كان لبنان جزءاً من الامبراطورية العثمانية، إذ ذكّر المستشار النمساوي مترنيخ¹¹ Metternich، في العام 1844،

¹ باسم الجسر، فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص112.

² مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص96.

³ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص101.

⁴ وضاح شرارة، السلم الاهلي البارز لبنان المجتمع والدولة 1964-1967، الجزء الاول، معهد الانماء العربي، دون ذكر للطبعة، بيروت، 1980، ص21.

⁵ هدى نعمة، "الذكرى الرابعة والعشرون لغياب الرئيس فؤاد شهاب"، صحيفة نداء الوطن، تاريخ 1997/4/26.

⁶ واكيم بو لحدو، مرجع سابق، ص91.

⁷ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص49.

⁸ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص77.

⁹ STEPHANE MALSANE ibid P 202

¹⁰ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص50.

¹¹ مترنيخ كان من عباقرة السياسة في العالم، فهو الذي اعد بناء خارطة اوروبا السياسية بعد سقوط الامبراطور الفرنسي نابوليون بوناپرت. فهو كان مهندس مؤتمر فيينا الذي حفظ السلام لنحو مائة عام في اوروبا. مترنيخ/ <http://ar.wikipedia.org/wiki/مترنيخ>

سفيره في اسطنبول، في كتاب وجهه اليه: «أنه عندما يسود السلم والاستقرار في لبنان، يسود كذلك في البلدان المجاورة»¹.

ان معالجة هذا الجزء، تُحتم شرح السياسة الخارجية التي إعتدها العهد الشهابي، وبداية تُحدّد أهمية هذه السياسة بالنسبة الى الدولة اللبنانية، فالسياسة الخارجية تأتي في طليعة القرارات المُحددة لوجه لبنان الدولي، ولشخصيته ولإستقلاله وسيادته في الوقت نفسه. لان الدولة لا تكون مستقلة استقلالاً تاماً، إذا لم تمارس السيادة الوطنية بجميع معانيها، فترسم سياسة خارجية تملئها عليه المصلحة الوطنية². إنطلاقاً من هذه الثوابت، رسم الرئيس شهاب، سياسة عهده الخارجية، مبنية على المصلحة الوطنية ومتسمة بالاعتدال، معتبراً ان الإستقلال الوطني للبنان، لا يعني تخليه عن إنتمائه الى العائلة العربية، وحدد سياسته بالخطوط العريضة التالية:

- التضامن مع العالم العربي، والتقريب بين الدول العربية التي هي على خلاف³.
- دعم القضايا العربية وتأييدها، والتعامل مع كل الدول العربية من مبدأ «التكافؤ وحفظ المصالح المشتركة».

- حياد ايجابي على الصعيد الدولي، يتمثل في الامتناع عن الاشتراك في اي حلف او معسكر او معاهدة تستهدف تازيم علاقات الدول ببعضها البعض، وتاليها نقل حربها عبر سفرائها الى داخل لبنان⁴.
اعتدال، تضامن، تأييد، حياد... كلها عناوين حددت، خلال العهد الشهابي، علاقة لبنان بالوطن العربي، ومن ثم بالعالم. ويحتاج كل عنوان منها، الى مناقشة وتوضيح واستفاضة.

شكّل الاعتدال جوهر النهج الشهابي، وطابعه العام على الاصعدة المختلفة، وتالياً الطابع العام للسياسة اللبنانية الخارجية في تلك الفترة، لم يكن فتوراً، او تهرباً من حرج الالتزامات او جراءة الموقف، بل كان خطأ واعياً لإبعاد لبنان، ارادياً، عن كل القوى الاكثر تطرفاً، وطنياً وعربياً ودولياً⁵. وهو القائل: «ان المساواة بين اللبنانيين، والاخلاص والصراحة في علاقاتنا مع البلاد العربية الشقيقة، والكرامة والصدقة في جميع علاقاتنا الاجنبية، هي اسس جديرة بتوفير حياة هانئة لوطننا يتأمن فيها الازدهار والسلامة والطمأنينة والعزة. وهي كفيلة بأن تضع لبنان في المنزلة الكريمة التي يستحقها في البلاد العربية وفي العالم»⁶. يعكس هذا الخطاب الربط بين الوضع الداخلي اللبناني وسياسته الخارجية، لان الرئيس اراد تسخير السياسة الخارجية المعتمدة على اسس واضحة لتوفير حياة هانئة للوطن، اي استقرار داخلي مطلوب، وليس العكس كما عانى اللبنانيون، من تأثير الالتزامات الخارجية المتطرفة على الهدوء والاستقرار الداخليين.

بالنسبة الى **التضامن مع العالم العربي**، اوصى الرئيس شهاب بـ «ان يلتزم لبنان التضامن مع الدول العربية، ان كان هناك اجماع من قبلها على موقف او قضية، وان يقف على الحياد بينها في حال اختلافها وانقسامها. وأن يتحفظ في حال تأثير الموقف العربي المطلوب إتخاذه، مباشرة على الوحدة الوطنية»⁷. فهم الرئيس شهاب، علاقة لبنان مع محيطه العربي - الاسلامي، من خلال علاقته الجغرافية والاستراتيجية به، فقسم من مياه الاردن تنبع من لبنان، وايضاً علاقته الثقافية والديموغرافية والاقتصادية معه. وفي العام 1963، كانت السوق العربية تؤمن ما نسبته 60% من الصادرات اللبنانية ونسبة 25% من وارداته⁸.

وعى الرئيس شهاب، أهمية موقع لبنان العربي، وما يترتب على هذا الموقع من ضرورة تفاهم مع العرب، وبصورة خاصة مع قيادتهم الصاعدة الناصرية. بيد ان الرئيس رأى «ان الناصرية التي هدت لبنان بالتفكك لم تفرض سيطرتها عليه، الا لانها قدمت المخرج للجماهير الاسلامية التي تتحمل النقل الاساسي للتفاوت الاجتماعي»⁹.

ففي خطوة اولى، لاعادة ربط الخيوط مع مصر الناصرية، جرى في 6 تشرين الثاني من العام 1958، استدعاء السفير اللواء عبد الحميد غالب¹⁰، للعودة الى بيروت، وبالتالي استئناف العلاقات الدبلوماسية مع

¹ فؤاد بطرس، مرجع سابق، ص 16.

² توفيق كفوري، مرجع سابق، ص 114.

³ STEPHANE MALSANE ibid P 54

⁴ جوسلين الدبس، "عهد فؤاد شهاب تدخل شبه مفقود"، صحيفة الديار، تاريخ 1988/7/2.

⁵ توفيق كفوري، مرجع سابق، ص 118.

⁶ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 8.

⁷ باسم الجسر، فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 111.

⁸ STEPHANE MALSANE ibid P 55

⁹ نقلاً عن: سليمان تقي الدين، تحولات المجتمع والسياسة افكار عن عالم جديد، مرجع سابق، ص 157.

¹⁰ قامت الحكومة اللبنانية في عهد الرئيس كميل شمعون، وبعد اتهام الجمهورية العربية المتحدة بمساعدة المعارضين اللبنانيين، بإبعاد سفير الجمهورية في لبنان، اللواء عبد الحميد غالب، في 25 تموز 1958. " و غادر اللواء بعد ان ودّع غبطة البطريرك الماروني الذي ابدى اسفه الشديد لموقف حكومة شمعون التي ما برحت تعمل على نسف الجسور بين لبنان والدول العربية الشقيقة المتحررة".

الجمهورية العربية المتحدة. وفي 25 آذار من العام 1959، تمّ «لقاء الخيمة» بين الرئيسين فؤاد شهاب وجمال عبد الناصر، على الحدود المشتركة بين البلدين، الذي راعى في الشكل الاعتبارات الخاصة للبنان بالنسبة الى هذه الجمهورية. وعى عبد الناصر الخصوصية اللبنانية واحترمها مدرکاً اهمية استمرار تجربة العيش المشترك وتجربة الديمقراطية في لبنان بالنسبة الى العالمين العربي والاسلامي. عُقد الاتفاق بين عبد الناصر وشهاب، على قاعدة فهم متبادل وعميق لخصوصية لبنان، ولانتمائه العربي، ولخصوصية المرحلة التي يمر بها العالم العربي والاتجاهات الجديدة التي تحكم القوى الفاعلة فيها. جوهر الاتفاق- التسوية، الانسجام التام بين الحكم اللبناني وعبد الناصر في السياسة الخارجية، العربية والدولية، ووقوف الحكم اللبناني الى جانب عبد الناصر، ومنع أيّ تأمر عليه او على نظامه انطلاقاً من لبنان، ودعمه في سياسته العربية والدولية بالمقدار الذي لا يضر بمصلحة لبنان، ولا يهدد وحدته الداخلية. وفي المقابل، التسليم باستقلالية القرار الداخلي اللبناني واحترام سيادة واستقلال لبنان ومنع التآمر عليه من الخارج. كان سر نجاح التجربة، هو الثقة المتبادلة بين القيادتين¹.

حصل الرئيس شهاب من لقائه مع عبد الناصر، على اول بلاغ رسمي يؤكد حرص الجمهورية العربية المتحدة، على الاعتراف بلبنان والحرص على استقلاله وسيادته وكيانه، واعتراف رسمي من قبل لبنان بكيان هذه الجمهورية². وأسهم كثيراً، رفض عبد الناصر الرسمي، كل مشروع لضم لبنان الى الجمهورية العربية المتحدة، بتبديد مخاوف المسيحيين اللبنانيين، وازالة التوتر في العلاقات بين الطوائف اللبنانية. وهكذا كان بالامكان وصف سياسة شهاب الخارجية، ومقارنتها بسياسة فنلندا آنذاك تجاه الاتحاد السوفياتي، في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية. فلم يمارس لبنان اي نشاط، ولم يتخذ اي موقف من شأنه إثارة استياء الجمهورية العربية المتحدة، وتمكن بذلك من استعادة استقراره الداخلي وحرية³.

تمكن الرئيس شهاب في هذا السياق، من الاستعانة بالسفير المصري اللواء عبد الحميد غالب، يوم كانت مصر ام العروبة وقلبها، لترويض الشارع الاسلامي. إذ في كل مرة كانت تجد الشعبة الثانية اللبنانية صعوبة في استمالة شخصية ناصرية، استعانت عليها بالسفير المصري. بذلك لطالما اجتذبت اليها الرأي العام البيروتي والطرابلسي والصيداوي، الناصري في قياداته الشعبية التي امتثلت لارادة غالب؛ فإذا «بالناصرية نفسها تستحيل فحاً سياسياً بنت عليه الشعبة الثانية شعبيتها، مما ضمن للرئيس فؤاد شهاب الاستقرار الداخلي ودعم اتجاهات السلطة، عبر الدعم الشعبي، الاسلامي خصوصاً»⁴.

وفي المقابل تجاهل الرئيس شهاب، الناصرية مذهباً عقائدياً، وقاربها من خلال نظرتة الى قائدها وزعيمها فقط، على انها ديبلوماسية حكيمة متفهمة ادركت حساسية الوضع اللبناني ودقة تكوينه السياسي والطائفي والثقافي والاجتماعي، وخصوصية الدور المسيحي فيه، متنبهة الى اهمية المحافظة على استقلال لبنان ووحدته الوطنية. اراد الرئيس شهاب في لبنان، إجتذاب الناصرية الى شهابيته هو، لا انقياد الشهابية الى الزعيم المصري⁵.

وعندما تم الانفصال بين سورية ومصر في 28 ايلول من العام 1961، وجد لبنان نفسه في واجهة الحدث، بعلاقات على نمط جديد مع النظام السوري، الذي اعلن «قيام الانتفاضة المباركة منهيّاً حكم الوحدة والتسلط المصري»⁶. كانت اولى المهام الملقاة على عاتق الشعبة الثانية، تبادل نقل الضباط السوريين المقيمين في مصر، وفي المقابل نقل الضباط المصريين المقيمين في سورية، عبر الاراضي اللبنانية. اما المهمة الثانية فكانت سرية، وبطلب شخصي من جمال عبد الناصر، الا وهي تأمين فرار عبد الحميد السراج، نائبه في سورية، من سجن المزة حيث اعتقله اركان الانفصال. جرت العملية بنجاح في ليل 18 ايار من العام 1962، بمساعدة بعض حراسه الذين تواطأوا مع الاستخبارات المصرية في بيروت، ليجري تهريب السراج عبر طريق ترابية وعرة قريبة من بلدة حلوة اللبنانية، فنتسلمه الشعبة الثانية مؤمنة انتقاله الى السفارة المصرية في بيروت ومن بعدها نقله بطائرة خاصة الى القاهرة⁷.

ومن ناحية ثانية ظهرت مسيرات احتجاج شعبية في بيروت وطرابلس وصيدا، ضد الانفصال، مؤيدة الزعيم المصري، مما اغضب النظام السوري. عملت الحكومة اللبنانية على تهدئة الاوضاع عبر الاعتراف

ناديا كرامي ونواف كرامي، واقع الثورة اللبنانية، 1959، دون ذكر لدار النشر، ولا ذكر للطبعة، ولا لمكان النشر، 1959، ص299.

¹ البير منصور، مرجع سابق، ص55.

² ميشال ابو جودة، "لقاء الرئيس فؤاد شهاب وعبد الناصر"، صحيفة النهار، تاريخ 1964/8/29.

³ تيودور هانف، مرجع سابق، ص158.

⁴ نقولا ناصيف، المكتب الثاني، حاكم في الظل، مرجع سابق، ص161.

⁵ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص339-340.

⁶ نقولا ناصيف، المكتب الثاني، حاكم في الظل، مرجع سابق، ص169.

⁷ نقولا ناصيف، المكتب الثاني، حاكم في الظل، مرجع سابق، ص170.

بالنظام الجديد في 15 تشرين الأول من العام 1961، وارسال الرئيس شهاب مندوباً شخصياً من قبله، يُفهم السوريين انه عندما التقى عبد الناصر في الخيمة عند الحدود، كان يلتقيه رئيساً لسورية وليس رئيساً لمصر، وانه لا يستطيع شتم عبد الناصر لان اكثر من نصف لبنان الى جانبه.

تحسنت العلاقات بين البلدين في الاسابيع التالية، بعد تعهد لبناني بمنع تهريب الاسلحة الى سورية عبر لبنان، وظهرت بوادر هذا التحسن، حين اعلنت دمشق تضامنها مع الحكومة اللبنانية ضد محاولة الانقلاب التي نفذها الحزب السوري القومي الاجتماعي، في 31 كانون الأول من العام 1961. بقيت العلاقات اللبنانية - السورية في حقة الانفصال باردة، تسودها الريبة والمخاوف المتبادلة، وكانت الحجة الرئيسية، التعاون اللبناني المصري، عبر الدور الكبير الذي تلعبه السفارة المصرية في بيروت¹. ولكن الرئيس شهاب استطاع تخطي هذه المرحلة الدقيقة، بين البلدين الشقيقين بحسن التصرف، والحكمة في المواقف، بعد ان اعلن ان على لبنان مراعاة مطالب البلدين الاكثر تأثراً على اوضاعه الداخلية وعدم المشاركة في الحملات الاعلامية المتبادلة بينهما، والامتناع عن اي خطوة او نشاط معادٍ، قد يضر بالبلدين².

لم ينجُ هذا النهج المبدئي في السياسة العربية من انتقاد المعارضين، الذين رأوا فيه انحيازاً لفريق عربي ضد فريق آخر، أو اتهموا الرئيس بانه يقدم المصلحة القومية العربية على المصلحة الوطنية اللبنانية³، وبانه ينحاز للناصرية اكثر من غيرها من التيارات العربية؛ كما ان الناصرية تلك لم تستطع ان تستجلب جميع القوى السياسية اللبنانية اليها، وخصوصاً احزاب كميل شمعون، وبيار الجميل، وريمون اده، والحزب السوري القومي الاجتماعي، مما سيُبقى الرئيس محاصراً بانتقادات معارضية التي ترجحت بين العداة والنفور⁴.

ومهما قيل في سياسة الرئيس شهاب العربية، الا انه حاول ان يكون وسيطاً بين الزعماء العرب، عاملاً للتوسط لحل الخلاف القائم بين عبد الناصر والملك حسين ملك الاردن، إذ كلف مجلس الوزراء بتوجيه من شهاب، رئيسه صائب سلام، للقيام بهذه المهمة⁵. عملت الصحافة اللبنانية، على نشر افكار جميع التيارات العربية المحيطة بلبنان، من مصرالى السعودية، فالعراق، فسورية، ولكن النظام اخذ طريق الحياد بغية الحفاظ على الخصوصية اللبنانية والعلاقات المتوحدة بين سكانه، وعلى استقلاله⁶.

لم يهتم الرئيس بالمشاريع الوحودية للوصول الى فيدرالية عربية كبيرة، بل ينطلق الاهتمام العربي لديه، من ان لبنان عضو مؤسس في جامعة الدول العربية، يخضع لميثاقها، وميثاق الدفاع المشترك الذي وقعه رياض الصلح في 17 حزيران من العام 1950. فهو قد عايش الصراع العربي - الاسرائيلي حين شارك، كقائد للجيش اللبناني، في معركة المالكية في 5 حزيران من العام 1948، مع ما سُميَ حينها بجيش الانقاذ لتحرير الاراضي الفلسطينية من اليهود المحتلين⁷. التزم الرئيس باتفاقية الهدنة مع اسرائيل المعقودة بتاريخ 23 آذار من العام 1949، فقد كان واضح الرؤية بالنسبة لاسرائيل وخطرها. ولكنه في الوقت عينه، كرئيس وكقائد للجيش، كان يدرك ضعف لبنان العسكري اِزائها، فلا يتحرش بها كي لا تعدي عليه⁸.

خلال العهد الشهابي، شارك لبنان في القمة العربية المنعقدة في القاهرة بين 13 و17 كانون الثاني من العام 1964، موافقاً على ان يكون في عداد الجيوش العربية العاملة في ظل القيادة العربية الموحدة، التي أنبِطت بضابط مصري كبير، هو الفريق اول علي عامر. ولكن رداً على اقتراحات عربية بدعم جيشه الوطني بقوات مسلحة سورية او مصرية، رفض الرئيس ذلك دون الحصول على مصادقة السلطة التشريعية، وفضل دعم الجيش اللبناني عبر برنامج للتسلح، لتوافق عليه القمة العربية الثانية في ايلول من العام 1964، قبل اسبوعين من نهاية ولايته، للدفاع عن لبنان ضد اي اعتداء اسرائيلي محتمل⁹.

¹ نقولا ناصيف، المكتب الثاني، حاكم في الظل، مرجع سابق، ص 171- 172 .

² باسم الجسر، فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 105.

³ باسم الجسر، فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 110.

⁴ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 340.

⁵ صحيفة النهار، العدد 7627، تاريخ 28 تشرين الأول من العام 1960

⁶ STEPHANE MALSANE ibid P 57 - 60

⁷ تقع قرية المالكية على هضبة قليلة الارتفاع (700م) ، هي تشكل موقعا "حساسا" بالنسبة للمواصلات بين شمال فلسطين وجنوب لبنان في القطاع الاوسط، فهي تسيطر على الطريق التي تصل بين عيترون وبليدا وميس الجبل في لبنان من جهة، وكفبر عرم وقدس والنبي يوشع في فلسطين من جهة اخرى، وهي مفتاح لسهل حولة والطرق المؤدية الى عكا والنصيرة في فلسطين. جرت معركة في 5 حزيران من العام 1948، استطاع خلالها الجيش اللبناني من احتلال المالكية والبقاء فيها 33 يوماً" ، سلمها في ما بعد الى جيش الانقاذ - فوج اليرموك.

احمد علي علو، المؤسسة العسكرية اللبنانية الجيش، رسالة لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، باشراف الدكتور وجيه كوثراني، الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الانسانية، الفرع الاول، 1994، ص 107.

⁸ باسم الجسر، فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 111.

⁹ نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 337-338.

أيّد الرئيس شهاب مواقف الجامعة العربية والتزم بها، خلال الاشكالات التي رافقت القضية الجزائرية في العام 1962، حين رفض طلباً من بيار الجميل، بالحياد اللبناني حول هذا الموضوع¹، معتبراً ان موضوع الخلاف ليس عربياً عربياً، لذا على لبنان الالتزام بمقررات وتوجهات الجامعة العربية. اما بالنسبة الى السياسة الخارجية الدولية، والتي أطلق عليها لقب «الحياد الايجابي»²، فوصفها الرئيس شهاب: «انه في المجال الدولي يؤدي لبنان قسطه الواجب في العمل على سيادة مبادئ العدل والحق والحرية، ورسوخ فكرة التعاون الدولي، وارتفاع راية السلام، في عالم وضعه التقدم العلمي الجبار على مفترق طريقين: طريق للدمار، وطريق لتحقيق ازهى الاحلام الانسانية»³. عاد ووضح هذه السياسة رئيس الحكومة صائب سلام، حين شارك في مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد في بلغراد، في اوائل ايلول من العام 1961، ومؤكداً ان سياسة لبنان الدولية، يجب ان تؤمّن له الاستقرار السياسي الداخلي، وترك البلاد بعيداً عن اهواء الحرب الباردة. فلبنان يجب ان يكون صورة لملجأ سلام بين البلدان العربية، وهو يصير على حرية الشعوب وحقوقهم بالسلام، والتخلص نهائياً من الاستعمار⁴.

لم يرق الرئيس فؤاد شهاب، بهاجس الحياد، باي زيارة للخارج خلال فترة حكمه، وكان يتحجج دائماً بضيق الوقت، ولكن الهدف كان عدم تعريض الداخل اللبناني لاية هزات محتملة⁵.

ابدى الرئيس شهاب، اهتماماً بعلاقات لبنان الدولية «حيث ان لبنان تاريخياً واقتصادياً وثقافياً منفتح على الغرب، وليس من مصلحته مقاطعة هذا الغرب او مخاصمته الا بالنسبة لموقفه من اسرائيل والقضية الفلسطينية، او عدوانه على دولة عربية»⁶. شعر الرئيس بتعاطف مع فرنسا، ثقافته فرنسية، وخاصة بعد انهاء الجنرال ديغول⁷ Le General Charles De Gaulle حرب بلاده مع الجزائر، فتعامل مع خبراء فرنسيين في كثير من المجالات، وبشكل بارز في المجال التربوي، فتحظى سياسة الانفتاح الفرنسية على تأييد المسيحيين والمسلمين في لبنان⁸. ولكن ذلك لم يؤثر على ميزان التجارة، لا مع الولايات المتحدة الاميركية ولا مع المملكة البريطانية⁹. ان الانفتاح على الشرق وعلى الدول الكبرى في الغرب، ميز السياسة الخارجية الشهابية، التي لم تقاطع الاتحاد السوفياتي، معتبرة الدول الاشتراكية دولاً صديقة؛ كما اتسمت العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية بالتعاون والود، مع بعض التحفظ تجاه مماشاة واشنطن لاسرائيل¹⁰؛ كان للرئيس شهاب حدّ من التعاون الاقتصادي او التحالف مع الاتحاد السوفياتي، وتبني الاشتراكية، ولكن بما انه لا مصلحة للبنان ولا قدرة له، على معاداة دولة كبيرة كالاتحاد السوفياتي او مقاطعتها، فمن الافضل الابقاء على علاقات ودية معه ومع دول المنظومة الاشتراكية¹¹.

كذلك، انضم، في عهد الرئيس شهاب، لبنان كعضو مشارك في السوق الاوروبية المشتركة، والغاية منه موازنة الميزان التجاري اللبناني مع الدول الاوروبية¹².

رأى الرئيس شهاب بثاقب بصره وبصيرته، ان قوة لبنان الحقيقية ليست مجرد قوته الداخلية على ارضه الضيقة، بل لديه قوة هائلة في دول العالم عبر مبدعيه ومفكره ومغربيه وتجاره وسياسيه. لذلك ربط، بين لبنان المقيم والمغترب، ليس فقط كفولوكور سياحي، بل كقوة اقتصادية سياسية فكرية، يجب تثميرها ووضعها في خدمة لبنان¹³.

¹ STEPHANE MALSANE ibid P 57

² توفيق كفوري، مرجع سابق، ص 117-118.

³ مجموعة خطب فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الامير اللواء فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 102 - 103.

⁴ STEPHANE MALSANE ibid P 59

⁵ كما يذكر نقولا ناصيف، ان الرئيس لم يحضر القمة بحجة توغره، ولكنه في الواقع تمارض وارسل شارل الحلو، الرئيس المنتخب، كي يحضر القمة قبل ان يقسم اليمين الدستورية. نقولا ناصيف، جمهورية فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 334.

⁶ STEPHANE MALSANE ibid P 59

⁷ باسم الجسر، فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 104.

⁸ الجنرال ديغول كان ضابطاً في الجيش الفرنسي، رفض الاحتلال الالمانى لفرنسا سنة 1940، غادر الى لندن حيث ترأّس حكومة فرنسا الحرة، ومن ثم ترأّس اللجنة الوطنية الفرنسية حين ربط بها جميع عناصر المقاومة والحلفاء طيلة الحرب العالمية الثانية. بعدها اصبح اول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة.

⁹ الجنرال ديغول، مذكرات ديغول النفي (1940-1942)، ترجمة عبد اللطيف شرارة، مراجعة احمد عويدات، منشورات عويدات، الطبعة الثالثة، بيروت، 1983، ص 368.

¹⁰ توفيق كفوري، مرجع سابق، ص 223.

¹¹ زهير عسيران، حلقة وثائقية عبر تلفزيون لبنان، في الذكرى الخامسة والعشرين لغياب فؤاد شهاب، 1998.

¹² توفيق كفوري، مرجع سابق، ص 223.

¹³ باسم الجسر، فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 104.

¹⁴ توفيق كفوري، مرجع سابق، ص 224.

¹⁵ نبيل خليفة، "فؤاد شهاب: الجسر الآخر"، صحيفة نداء الوطن، تاريخ 1999/11/6.

وقدرت الدوائر المختصة عدد المهاجرين اللبنانيين حتى العام 1959، بـ 1,143,000 مهاجر، موزعين على دول العالم وفقاً للجدول ذات الرقم (63):

| جدول رقم 63: توزيع المغتربين على دول العالم في العام 1959 ¹ | |
|--|-----------------------|
| الدولة | عدد المغتربين بالآلاف |
| الولايات المتحدة الاميركية | 400,211 |
| البرازيل | 304,829 |
| الارجنتين | 150,263 |
| القارة الافريقية | 228,356 |
| الدول العربية | 70,000 |

أنشأ الرئيس شهاب في ايلول من العام 1960، وكالة لبنانية، اتخذت اسم «جامعة اللبنانيين في العالم»، للتحرك على الصعيد العالمي، عاملة على خلق رابط بين لبنان المقيم والمهاجر. فلبنان فؤاد شهاب، يجب ان يكون همزة وصل بين الشرق والغرب، هو سويسرا الشرق، مستقوي باصوله الفينيقية، من شاطئ غني بالاساطير، ومن تأثير ثقافي وسياسي شرقي استمر لاجيال عدة².

وخلال انعقاد المؤتمر القاري الاول لجامعة اللبنانيين في العالم خلال العام 1962 في بوسطن، ترأس وزير الخارجية اللبناني فيليب تقلا المؤتمر، مشدداً على تحقيق حلم كثير من اللبنانيين بنقل العلاقة بين الوطن الام والمغتربين، «من صعيد الحنين المجرد، الى صعيد العاطفة الدافعة للتحرك والتعامل والتعاون والبناء المشترك»³. وعرض اهداف هذه الجامعة، من تمكين اواصر الولاء والاخلاص والاحترام من قبل اللبناني الاصل تجاه الدولة التي اكتسبوا جنسيتها، جاعلاً منه واسطة خير بين وطنه الاصلي ووطنه الحالي، كي تتسع معرفة العالم بلبنان، فتزداد محبة الشعوب له وثقتها به وعونها ومعاضدتها له. يجب ان تعمل هذه الجامعة على اقامة صلات بين المغتربين، وخلق جهاز يؤمن لها الالتقاء الدوري فيقرب ما بينها من ابعاد، ويوحد تفكيرها وغاياتها، ويؤمن في الوقت نفسه التقاهم والتعاون على ما فيه مصلحتها المشتركة وخير الوطن. ايضاً يجب ان تعمل الجامعة على تعريف المغتربين على نهضة لبنان الوطنية والفكرية والعمرانية، لكي يفتخروا بها، ويجعلوا من اهدافهم الاساسية احياء الشعلة اللبنانية في نفوس الاجيال الطالعة وفي طليعتها تعلمهم اللغة العربية، ليكونوا «الجناح الثاني الذي يطير به لبنان عبر الايام حول الدنيا باسرها والذي به يشتد ويخلد على الزمن»⁴.

7- الاستنتاج

إذا كانت الوسيلة الفضلى، كي يحكم اللبنانيون انفسهم بانفسهم، هي دولة القانون، اي الدولة المدنية، وإذا كان هذا القانون هو بالتالي القانون الوضعي، اي من وضع البشر، فإن الرئيس فؤاد شهاب عمل على تطبيق ذلك من خلال عملية الانصهار الوطني التي قام بها، كي يبني روح المواطنة لدى اللبنانيين. وإذا كانت الدولة المدنية الدستورية، لا تكون الا في اجواء الديمقراطية، فالرئيس شهاب، لم يتفرد في السلطة، بل جعل نفسه حامياً للديموقراطية. فلم يرقم باجراءات ثورية، بل مرر اصلاحاته من خلال مؤسسات الدولة، إن كان من خلال قوانين اقرها مجلس النواب، او من خلال مراسيم اشتراعية اقرتها الحكومات المتعاقبة بعد دراسات مستفيضة، اجرتها مؤسسات مؤتمنة على ذلك.

شعر الرئيس شهاب، ان الديمقراطية لا تنمو مع الجهل المرض والخوف والفقر، فاطلق ورشته الإصلاحية، للتخلص من هذه الآفات. كي تنمو تلك الديمقراطية وتترعرع، مع بداية تطبيق نظام اللامركزية الادارية، وتشجيع النقابات العمالية، وتنظيم عمليتي انتخابات نيابية شهدت تجديداً ملحوظاً في رموز الندوة النيابية لتمثل كل شرائح المجتمع اللبناني.

وإذا كان الجيش، في معظم الانظمة المحيطة بلبنان، وسيلة للقمع والتسلط، فالرئيس شهاب استعان بالجيش، واعتبره المؤسسة الجامعة، فأتمه على الديمقراطية، وعمل من خلاله على بناء الوحدة الوطنية، وعلى خلق مفهوم الامة (Nation). إعتبر الرئيس ان الجيش، مؤسسة لا طائفية ولا مذهبية ولا توجه سياسي لها، وإعتبره قناة عبور، للافكار الوطنية، لتصل الى المجتمعات المنغلقة على نفسها، وبهدف تعزيز مفهوم

¹ صحيفة النهار، العدد 7781، تاريخ 23 نيسان 1961.

² STEPHANE MALSANE ibid P 61

³ فاضل سعيد عقل، مرجع سابق، ص 355.

⁴ فاضل سعيد عقل، مرجع سابق، ص 364.

المواطنة، اطلق كتاب التنشئة الوطنية الانسانية، ليعمل على تنشئة الجندي بشكل اساسي، وسد ثغرة في اعداد الفرد اللبناني بشكل عام، ليكون مواطناً واعياً ومخلصاً. وإذا كان من مقومات الدولة المدنية، فصل الدين عن الدولة، فقد اشتغل الرئيس شهاب على تهذيب النظام الطائفي في لبنان وترشيده، معتمداً على عامل الزمن، ومعتبراً ان تحرر المواطنين من الولاءات الطائفية والمذهبية، والانتقال الى مرحلة المواطنة الحقة، سيأتي كنتيجة حتمية للاصلاحات الادارية والاقتصادية والاجتماعية وبعض منها السياسية، التي قام بها.

وإذا كان من اسس الدولة المدنية، فصل السلطات عن بعضها البعض، فالرئيس شهاب لم يتدخل في شؤون السلطة القضائية، بل انه عمل من خلال السلطة التنفيذية، على تنظيم شؤونها. وتدعيم استقلاليتها. وقد تجلى ذلك في محاكمات اعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي، إثر انقلابهم العسكري، والذي كان من شأنه ان يؤدي في دول اخرى، الى تعليق المشانق والانتقام ممن يحلو للنظام ان يتخلص منه. ولكن الرئيس ترك للقضاء حرية ان يقوم بمحاكمات عادلة، وكان يتدخل ايجاباً لمنع القضاء العسكري ان يسطو سطوته، بتطعيمه بقضاة مدنيين¹، حافظوا على انسنة المحاكمات.

حدد الرئيس علاقة لبنان بالعالم العربي، على مبادئ ثبت عليها طيلة عهده، الا وهي الاعتدال، والتضامن، والتأييد، والحياد، تجاه الشقيقات العربيات، كما طبق مبدأ الحياد الايجابي في سياسته الدولية. إعتبر ان قوة لبنان الحقيقية تكمن في مغزيبه، ذات القوة الاقتصادية والسياسية والفكرية، التي يجب تثميرها ووضعها في خدمة الوطن. لم يبخل عليهم باهتمامه، عاملاً على انشاء جامعة اللبنانيين في العالم لخلق رابط بين المقيم المهاجر.

ولكن، اتهامات كثيرة لم ترحم الرئيس شهاب وطالت عهده. منها انه لم يعمل على تغيير الطقم السياسي التقليدي، بل تعاون معه. الاتهام الاكبر، انه ساير المسلمين وعبد الناصر، اكثر مما يجب، مما اضعف المسيحية السياسية. هناك من قال، بان الشهابية كانت مشروع «انعزالية جديدة»² غايتها تدعيم الاستقلالية اللبنانية بوجه المد القومي العربي؛ كما ان كثيرين اتهموا مخابرات الجيش اللبناني بحجز الرئيس شهاب خلف ستار مقنع، لم يستطع من خلاله، صون الحرية والديموقراطية اللبنانية، امام نشوة تسلط المكتب الثاني.

ان الممارسات والتجاوزات التي قام بها المكتب الثاني في عهد الرئيس شهاب، بقيت لطفة صغيرة على عباءة ضخمة من الانجازات، حملها الرئيس على اكتافه.

عملت المعارضة ضد النهج الشهابي على تضخيم دور هذا الجهاز، فالرئيس شهاب لم يعين اي عسكري وزيراً، ولم يطلب القيام باية محاكمة غير عادية، ولم يغير قانون المطبوعات، ولم يتعرض الى الحرية الاعلامية³.

وإذا كان موضوع هذه الرسالة يتعلق بانجازات الرئيس شهاب، على طريق بناء الدولة المدنية، فانا لم اجد ان ممارسات المكتب الثاني أثرت على تنفيذ تلك الانجازات، او غيرت من مسارها، بل ان الاستقرار الامني الذي رافق اعوام هذا العهد، ساعد على تنفيذ الخطط والمشاريع الانمائية.

تمنى ضباط المكتب الثاني التجديد للرئيس فؤاد شهاب في العام 1964 لولاية رئاسية ثانية، عاملين على ايصال بعض المرشحين الشهابيين الى مجلس النواب، ومحاولين استبعاد بعض المعارضين، ولكنهم لم يقوموا باي اجراء عسكري كان من شأنه تغيير قناعات الرئيس شهاب حين رفض تعديل الدستور والاستمرار في الرئاسة. علماً ان هؤلاء الضباط احترمو اللعبة الديموقراطية في العام 1970، وتقبلوا نجاح سليمان فرنجية في الانتخابات الرئاسية، مع ان ممارسات هذا المكتب كانت اقوى واقسى في عهد الرئيس شارل حلو. إتهامات كثيرة صدرت، علّ التاريخ يُصدر أحكامه فيها.

¹ بعد ان اصدرت المحكمة العسكرية، في الثامن عشر من ايلول 1962، احكامها بحق السوريين القوميين الذين نظموا الانقلاب العسكري والتي قضت باعدام تسعة وسبعين متهما، طعن القوميين في الاحكام امام محكمة التمييز العسكرية، التي كلف الرئيس شهاب برئاستها القاضي المدني اميل ابو خير، بناء على اقتراح وزير العدل في حينه فؤاد بطرس. لم يرق التعيين لبعض ضباط الشعبة الثانية واركاب العهد الشهابي في الجيش، لان القاضي اميل ابو خير كان معروفاً باستقلالته وتحفظه حيال النهج العسكري. برر وزير العدل اقتراحه هذا بقوله مخاطباً الرئيس شهاب: "اعتقد ان هذا ما علينا القيام به في سبيل مصلحة البلاد ومصلحة العهد وسيذكر التاريخ اسمك بانه اثناء ولايتك كان القضاء مستقلاً وعادلاً" ولم يقتص من خصومك لانهم خصومك" فؤاد بطرس، مرجع سابق، ص 86-87.

² باسم الجسر، فؤاد شهاب، مرجع سابق، ص 122.

³ باسم الجسر، حلقة وثائقية عبر تلفزيون لبنان، في الذكرى الخامسة والعشرين لغياب فؤاد شهاب، 1998.

